الإطـار النظرى للدراسـة

الأسرة فى رعايتها للكفيف والتمهيد للنضج الخلقى

تلعـب الأسـرة دورا مهمـا فـى تربيـة الكفيـف فهـى الحـضن الاجتمـاعى الأول للكفيـف منـذ نعومـة أظفـاره .. وجميـع مراحلـه النمائيـة وسـوف نتنـاول دور الأسـرة لنوضح أهمية التربية الأسرية فى تجيز الكفيف ، وإلى أى حد نغرس النمو الأخلاقى لديه :

(أ) مواقف ومسئولية الأسرة نحو الكفيف :

يـصعب علينـا أن نـاقش المـشكلات التربويـة للمكفـوفين ، دون أن نأخـذ فـى الاعتبار حقيقة اجتماعية لها أثرها فى تحديد المركز الاجتماعى للكفيف وهـى ارتبـاط الكفيف بالمجتمع ، فتاريخ المكفوفين فى مجتمع ما ، مـازال إلى الوقـت الحاضـر تظهـر فيه بوضوح انطباعات أحكام وآراء المبصرين ومزاعمهم عن المكفوفين . ومـن خـلال هذا التاريخ تتحـدد فكـرة كـف البـصر لأفـراد هـذا المجتمـع . وفكـرة كـف البـصر تـؤثر كإحدى القوى الاجتماعية ، وتشكل بالتالى الوعى الاجتماعى عند الشخص المبـصر نحو زميله الكفيف ، وهذا الوعى الاجتماعى يوجه السلوك الاجتماعى للمبـصر نحـو الكفيف .

وتحديد فكرة كف البصر تخضع لعـدة عوامـل ، أهمهـا : خـبرات المبـصرين عـن المكفوفين ، ومدى النجاح الذى وصل إليه المكفوفين فى حياتهم كأعضاء لهم دورهم الفعال فى المجتمع .

وهكذا يكون الكفيف فى علاقاته مرتبطا بالمجتمع ، وهذا يوجب عليه الاختلاط بالمبصرين والتفاعل معهم والاندماج فيهم . ولعل ذلك ما يجعلنا نجعل الكفيف يعيش قى المجتمع عضوا متأثرا ومؤثرا فيه . يقوم بدوره وفق قدراته وطاقاته ، ويثبت وجوده وحقه فى الإسهام - كغيره من المبصرين ، ويعمل على تنمية وطنه وبذلك يحقق تكيفه النفسى والاجتماعى ، ولأجل الوصول بالكفيف إلى هذه الحالة من التكيف يجب أن يؤهل اجتماعيا وثقافيا واقتصاديا . وهذا التأهيل يعتمد بصفة أساسية على عوالم مختلفة تشمل أساليب تربية الأسرة - وظيفة المدرسة كقاعدة رئيسية للتأهيل الاجتماعى والثقافى والاقتصادى للقيام بعمل مناسب . وهكذا تعتمد عملية تكيف الكفيف على النمو السليم للقدرات المختلفة ، وتربية الحواس الباقية ، وعلى التوجيه النفسى والتربوى ، وعلى التأهيل المهنى ، وأخيرا على تأمين مستقبله واندماجه فى المجتمع .

وهكذا يتضح لنا أن عملية تأهيل الكفيف للحياة فى المجتمع وإعداده كفرد له حقوقه وعليه واجباته تبدأ أول ما تبدأ مراحلها فى الأسرة . ولقد ثبت علميا أن سلوك الفرد يتأثر بالبيئة الأولى التى يحتك بها ، وأن شخصية الطفل تتشكل تبعا للخبرات المبكرة التى يكتسبها فى مرحلة الطفولة ، وأن كل ما يستجد بعد ذلك فى شخصية الإنسان يكون مرتبطا إلى حد كبير بطفولته التى تعتبر أساسا لشخصيته .

اتجاهات الأسرة نحو الطفل الكفيف :

١ـ ردود الأفعال الأولى للأسرة نحو الطفل الكفيف :

من النقاط التى تستحق الدراسة والبحث فى هذا المجال الإجابة عما إذا كان ما بين الوالدين والطفل من العلاقات الطبيعية سيأخذ مجراه العادى أو يتغير بسبب كف البصر ؛ أى إن العلاقات بين أفراد الأسرة والطفل الكفيف ستصير فى طريقها

الطبيعى مثل غيره من أخوته المبصرين أو ستتغير بسبب كف البصر . وكلما استطاع الوالدان أن يعاملا طفلهما الكفيف كطفل وليس كطفل كفيف فإنه لا تحدث مشكلات ، إذ إن الطفل الكفيف هو قبل كل شىء طفل ينمو نموا طبيعيا ، عندما نحسن من أمر إشباع حاجاته الأولية ، وعندما يشعر بشعور الأمن والطمأنينة خلال علاقات المحبة والعطف والحنان من جانب أفراد أسرته بصفة عامة والوالدين بصفة خاصة الذين يتقبلونه كما هو .

ولكن تظهر المشكلات فقط عندما يكون أفراد الأسرة بعامة والوالدين بخاصة غير مستعدين لتقبل كف البصر وبالتالى الطفل الكفيف كحقيقة واقعة ، والذى ربما يكون مصدرا لمضايقات فى حياة الأسرة ، إذ إن كف البصر يؤثر على أفراد الأسرة كصدمة تخلف وراءها مشاعر وإحساسات سلبية تنعكس بدورها على طفلها الكفيف ، هذه المشاعر والإحساسات تكون بمثابة قاعدة اجتماعية تشكل إراديا أو لا إراديا سلوك الأم بصفة خاصة تجاه طفلها منذ نعومة أظفاره ؛ الأمر الذى يؤدى بدوره إلى عصبية الأم .. هذه العصبية التى يحتمل أن تنتقل بالتالى إلى الطفل فيصبح هو أيضا عصبيا .

وتفسير ذلك أن حالة الأم النفسية تنعكس بصورة واضحة وسريعة على طفلها وهذا يتطلب أن تكون فى حالة نفسية هادئة أثناء الرضاعة ، وأنه من الخطأ أن ترضع صغيرها وهى حزينة باكية أو ساخطة أو وهى فى حالة عصبية ، فالمطلوب من الأم أن تتخلص من كل مشكلاتها وآلامها وأن تطرحها جانبا وتتفرغ لطفلها تماما أثناء الرضاعة وتشعره أنها معه بعواطفها وحبها وحنانها إلى جانب تلبية مطالبه الفسيولوجية.

لذا فمن الضرورى أن تعد الأسرة تربويا ونفسيا وثقافيا لتقبل كف البصر وبالتالى تقبل الطفل الكفيف ، ويتسع نطاق هذا الإعداد ليشمل أفراد البيئة البشرية التى تدخل فى مجال حياة الكفيف . ويسبب عدم إعداد الأسرة لتقبل الطفل الكفيف فى مبدأ الأمر إلى ظهور سلسلة من ردود الأفعال مثال ذلك : اختلاف معاملة الطفل

الكفيف عن معاملة الطفل المبصر – عدم تقبل كف البصر كحقيقة واقعة – عدم تقبل النصح بإمكان الشفاء – تكرار الاستشارات الطبية – حرمان الطفل من الشعور بالأمن والاطمئنان – عدم تربيته التربية العادية – حرمانه من الحب الفطرى والمعاملة الحسنة– حرمانه من الفرصة المناسبة للتعليم ، وعندما يعترفان به كطفل مثل أخيه المبصر له الحق فى الذهاب إلى المدرسة يكون ذلك متأخرا .

وعندما لا تكون للطفل الكفيف أية رغبة أو عندما يكون موضوعا لخصومة غبية من جانب الأسرة يبدو كف البصر كجزأ لذنب ما ، وهذا يؤدى دون شك إلى إعاقة النمو الطبيعى عند الكفيف ، وتزداد درجة الإعاقة بتأكيد هذه المشاعر واستمرارها كمن جانب الأسرة نحو طفلها الكفيف ، وبالتالى يشعر الكفيف بشعور الذنب والإهمال . ومن الطبيعى أن يدرك المرء نتائج هذا السلوك للأسرة وردود أفعاله على التكوين البدنى والعقلى والنفسى والاجتماعى والثقافى لشخصية الطفل الكفيف . لذا فإن أكبر مصيبة فى تكوين وتطور شخصية الكفيف لا تنحصر فى حقيقة كف البصر والنتائج المترتبة عليه ، بقدر ما تنحصر فى موقف الأسرة وسلوكها واتجاه البيئة الاجتماعية المحيطة به .

٢ـ اتجاهات سلوك الأسرة :

إن الطفل الكفيف يولد ومعه مقومات الإنسان الكامل فهو يحس ويتأثر بالحياة والناس والأشياء من حوله ، وينعكس أثر ذلك على حالته الصحية وصحته النفسية . وعلى ذلك فمن الواجبات الأولية للأسرة أن تضع فى اعتبارها أسلوب معاملة وليدها منذ الصغر ؛ إذ يتميز سلوك الأسرة بعامة والوالدين بخاصة نحو الطفل الكفيف بالتغير وعدم الثبات وخاصة فى السنوات الأولى من حياته ، ومهما كانت صفة ونوع هذا السلوك ، فله تأثيره الفعلى على حالة الكفيف النفسية والعقلية والثقافية .

وهناك مجموعة من السلوكيات تظهر عند الوالدين نحو طفلهما الكفيف تتبلور فى :

(أ) تقبل طبيعى على أساس من الاقتناع والفهم والإدراك لحقيقة ماهية كف البصر وموقف الطفل الكفيف .

(ب) تقبل ضعيف وظاهرى على أساس من عدم الاقتناع وعدم إمكان الكفيف إدراك حقيقة موقفها إدراكا بصريا .

(جـ) الرفض القائم على الجهل وعدم المعرفة بحقيقة كف البصر وموقف الطفل .

(د) الرفض القائم على محاولة عدم الاقتناع والمكابرة والعناد والإصرار على عدم تفهم الحقائق .

(هـ) الثنائية الازدواجية فى المعاملة أى بين الرفض والتقبل ، أو بين رفض الأب أو الأم وبين تقبل الأب والأم .

٣ـ استمرار المعاملة الخاصة :

إن حقيقة المعاملة الخاصة من جانب أفراد الأسرة نحو الكفيف تعتبر نتيجة لقوى اجتماعية تشترك فى التأثير المشترك للمدلولات الاجتماعية والحضارية الأخرى . ويكون الوالدان أنفسهما نسبة لعقبات اجتماعية تفرض نفسها على المجتمع ، وبالتالى على الأفراد الذين يعيشون فى هذا المجتمع ، وأحيانا تكون هذه العقبات الاجتماعية غير موجودة فى مجتمع آخر ، وبذلك يتغير مدلول هذه المعاملة من جانب الأسرة بتغير المدلولات الاجتماعية عن كف البصر فى المجتمع الآخر .

ولتقييم المعاملة الخاصة للأسرة نحو طفلها الكفيف للوقوف على الاتجاه التربوى لها نحوه ؛ حتى يمكن توجيه الأسرة إلى اتباع أفضل السبل واتخاذ أنسب المواقف فى

معاملتها للكفيف تطبق الطرق التالية لتقييم هذه المعاملة . وكل طريقة من الطرق التالية لا تعتبر مستقلة وكاملة فى حد ذاتها فلكل قيمتها وكل منها تكمل الأخرى .

(أ) الملاحظة المباشرة :

لأجل الوصول إلى نتائج لها قيمتها الإيجابية يستلزم الأمر الإقامة بالقسم الداخلى بإحدى مدارس المكفوفين لفترة ما ، فإذا أراد المرء أن يتعمق فى فهم سلوك الكفيف وتصرفاته ومعرفة اتجاهاته ومواقفه المختلفة ، يجب عليه أن يحيى معه ويعاصره فى مواقف اجتماعية فى حياته اليومية .

(ب) سؤال الشخص الكفيف :

عن مكان تربيته فى فترة ما قبل دخوله المدرسة ، وعن اتجاهات ومواقف المحيطين به وسلوكهم نحوه . وانطباعاتها فى نفسه ، وعن ردود أفعالهم سلوكه وتصرفاته ، وعن المشكلات التى صادفته .. إلخ .

(جـ) الردود الشفهية للتلميذ الكفيف أثناء الدراسة :

هذه الردود والتعليقات تعتبر أحد المصادر المهمة للوقوف على آرائهم وأفكارهم عن انطباعات الحياة المدرسية فى حياتهم بصفة عامة ، ومقارنة ذلك بحياتهم فى المنزل فى ضوء معاملة المدرسات له وغيرهن من العاملين فى المدرسة والإمكانات المتوافرة فيها .

(د) معرفة تأثير كف البصر منذ الطفولة :

وتعتبر هذه الطريقة ذات أهمية خاصة بالنسبة لتعليم الكفيف ، فتحليل الأجوبة قد يظهر دلالات توضح نزعة الأسرة كمن ناحية ، ومت ناحية أخرى سعة اطلاع الكفيف عندما يؤدى به إلى اتجاه خاطئ فى فهم ماهية كف البصر وإلى عدم التقدير السليم لقدراته وارتباط ذلك بعدم كفاءة التربية المنزلية .

(هـ) سؤال الوالدين :

أثناء الاجتماعات التى قد تتم بين الوالدين والعاملين بالمدرسة أو مع الإخصائى الاجتماعى أثناء الزيارات التى يقوم بها المختص لها أو عن طريق استمارة أسئلة ، وهذه الطريقة تتطلب كثيرا من الجهد والاهتمام والدقة فى تحديد الأسئلة واختيارها وصياغتها ومهارة طريقة عرضها ونوع الإجابة المطلوبة .

٤ ـ مسئولية الأسرة عن الضرر الجسمى والحسى والعقلى للكفيف :

عند دخول الكفيف المدرسة ، يلاحظ المرء فروقا فردية واضحة أكثر من التى يلاحظها عند زميله المبصر فى سنه نفسها.. ولأجل تحديد هذه الفروق الفردية ومعرفة الأضرار الجسمية أو الحسية أو العقلية التى أصيب بها الكفيف ، يجرى الأطباء فحوصهم التخصصية ويطبق الأخصائيون اختباراتهم المختلفة . ويؤدى تحليل نتائج هذه الفحوص وتلك الاختبارات إلى تحديد نوع أو مظهر هذا الضرر ، ومثال ذلك : تغير صحة الكفيف الذى لا يرجع إلى أحد الأمور التى تصيب الكفيف : ضعف تكوين العضلات – عدم القدرة على العطاء بصورة سليمة عن العالم الخارجى – عدم إجادة التحدث أو الإنصات – نقص فى توجيه ورعاية الكفيف – جموح خيال الكفيف – ضعف خبرات الكفيف كما ونوعا – عدم إجادة ممارسة لعب شعبية – ظاهرة حب الذات – عيوب فى التكوين والنمو البدنى – عدم القدرة على تمييز المؤثرات السمعية المألوفة .

وعندما يكون الكفيف فى حالة بدنية ونفسية غير عادية ، فإنه يسير فى طريق لا يعود عليه بفائدة إيجابية ويكون تحصيله دون المتوسط ، وهكذا تتضاءل فرص تكيف الكفيف اجتماعيا ونفسيا ، وتحاول المدرسة أن تبحث فى حياة الكفيف قبل التحاقه بالمدرسة بغية معرفة أسباب الفشل أو الإخفاق أو عدم التكيف فتدين الأسرة غالبا ، ويتحمل الوالدان بصفة خاصة جزءا من المسئولية يحدده طبيعة رد فعلهما تجاه

كف البصر ، فهما يظهران عدم كفاءة ليست فى نطاق النتائج فحسب بل يزيدان أيضا من خطورة الموقف .

والمشكلة هى فى تحديد مسئولية الأسرة : هل هى رئيسية أو ثانوية ، وقبل الحكم على مدى مسئولية الأسرة يجب على المرء أن يأخذ فى الاعتبار الحقيقتين التاليتين :

الأولى : أن كف البصر لا يقف دائما وحده فى تحمل المسئولية . فأحيانا يتحمل الوالدان نصيبا كبيرا من مسئولية التقاء هذه الأضرار ، التى لها تأثيرها السلبى على شخصية الكفيف وحياته . وتحدد الإجابة عن السؤال التالى مدى مسئولية الأسرة ، وهو هل غيرت معاملة الأسرة من شخصية الكفيف فى النواحى البدنية والجسمية والعقلية كما ظهر ذلك عند دخوله المدرسة أم لا ؟

وأكبر عدد من الصفات غير العادية يمكن تفسيرها فى ضوء العوارض المرافقة للعمى ، وعلى أساس اتجاهات الأسرة نحو ابنها الكفيف . فإذا كانت الصفات غير العادية أو الأضرار المختلفة التى ترجع إلى الأسرة هى الغالبة ، فتكون مسئولية الأسرة هنا رئيسية ومسئولية كف البصر ثانوية .

الثانية : إذا كانت الأضرار أو النقص أو القصور تكمن بصفة رئيسية فى الخبرات وأنواع المعارف التى يكتسبها المرء عن طريق الإدراك البصرى ، فهنا تكون النتائج المباشرة لكف البصر التى تظهر العوارض المرضية والصفات غير العادية عند الكفيف ، وبذلك تكون مسئولية كف البصر هنا رئيسية ومسئولية الأسرة ثانوية .

وتغير الدلالات الاجتماعية عن كف البصر فى مجتمع ما بجانب وجهة النظر الخاصة بمسئولية الأسرة تكون بمثابة مصادر للأضرار الجسمية والحسية والعقلية ، التى يشكو منها المكفوفون بدرجات متفاوتة .

٥ ـ مسئولية الأسرة تجاه تكوين شخصية الكفيف :

إن الأسرة لا يمكن أن تكون مسئولة فقط عن النقص الجسمى والحسى والعقلى الذى يقاسى منه الكفيف بسبب فقد بصره المبكر ، بل مسئولة أيضا عن صفات شخصيته ، ومناقشة هذا الرأى تعتمد على شقين :

الأول : يذكر وجود عيوب أو نقائص نتيجة للعمى .

ومناقشة هذا الشق تشير إلى أن كف البصر كحقيقة فسيولوجية قد يخلف أحيانا وبالضرورة صفات مثل حب الذات والتكبر ، ولكننا لا نعزو الفهم غير الصحيح لشخصية الكفيف إلى كف البصر فقط ، فكلمات مثل التكبر وحب الذات والحساسية .. إلخ ، لا تكون واضحة وسهلة الكشف عنها عند المكفوفين ؛ لأن هذه النقائص أو العيوب موجودة أيضا عند المبصرين ، ولذلك يتطلب الأمر دقة تحليل صفات شخصية الكفيف فقد ينسب إلى كف البصر فى هذا المجال عيوب مفترى عليه ، أى ليست بالضرورة نتيجة لكف البصر.

الثانى : يلقى على الأسرة كل مسئولية سبب هذا الضرر أو العيب إذا كان ليس بالضرورة نتيجة للعمى .

وقبل الحكم على مسئولية الأسرة تجاه تكوين ضحية طفلها الكفيف ، يجب مراعاة الحقائق التالية :

١- عندما تعامل الأسرة طفلها الكفيف معاملة عادية وطبيعية تماما كالطفل المبصر ، فحينئذ لا يكون نظام التربية – وبالتالى الأسرة – مسئولا عن أخطاء النمو فى

شخصيته ، وفى هذه الحالة يمكن مقارنة نتائج التربية بين كل من الطفل الكفيف والمبصر ، على أساس من الفروق الفردية والقدرات الفردية عند كل من الطفلين .

٢- عندما لا يكون النمو المنحرف فى شخصية الكفيف نتيجة مباشرة لهذه الحالة ، فإنه يكون مرتبطا بتأثير البيئة وتأثيرات القوى والقيم الاجتماعية الموجودة بها فصفات مثل التكبر وحب الذات والعصبية .. إلخ ، لا يمكن شرحها أو تفسيرها من عقل الكفيف ، فهذه الصفات تحمل مضمون تأثير البيئة وتمثل التأثيرات الاجتماعية ؛ تبعا للمواقف السلوكية للكفيف وتصرفاته المختلفة .

٣- عندما يوجد فى البيئة الاجتماعية أفكار خاصة عن مفهوم كف البصر ، فإن صفة هذه الأفكار ومدلولها يقع عليها اللوم فى الانحراف الموجود فى نمو شخصية الكفيف ؛ فالكفيف يكون بطريقة خاصة مرتبطا ببيئته الاجتماعية ، وتأثيراتها تحدد الصفات المنسوبة إلى الكفيف وهذا ينطبق مثلا على الشعور بالضعف الذى ينشأ أو يتولد نتيجة كثير أو القلق من الإدراك بالتناقض أو التباين بين إمكانات الكفيف وإمكانات المبصر ، ولا يمكن أن يحاسب الكفيف على أعماله المتهم بها ، فإن أعضاء المجتمع لا يعرفون تقريبا وبصفة مستمرة مسئولياتهم نحو الاختلاط والتعامل مع المكفوفين ، فهم مثلا لا يدركون ماذا يقاسى منه الكفيف وماذا ينتظر الكفيف منهم ؟

وهكذا .. فإن فكرة كف البصر تكون بصفة متكررة مصدر الصعوبات الجسمية والأضرار الحسية والعقلية عند الكفيف ، وفكرة كف البصر تلعب دورا مهما فى فهم شخصية الكفيف ، فتأثرها لا يمثل إلا مظهرا للمشكلة ومسئولية الأسرة تحددها ظهور الصفات غير العادية فى شخصية الكفيف .

٦ ـ الموقف السلبى للأسرة تجاه الطفل الكفيف :

هذا الموقف الخاطئ للأسرة يلعب دورا كبيرا فى عدم التكيف الاجتماعى والنفسى للكفيف ؛ لأن ردود أفعال هذا الموقف السلبى ونتائجه تسبب ميولا غير

اجتماعية ، وتؤدى إلى نقص كفاءة تربية الأسرة للإنسان الكفيف ، كما تعوق بصفة عامة النمو الطبيعى المتعدد الجوانب لشخصية الكفيف ، ومن أهم نتائج هذا الموقف ما يلى :

(أ) فقدان الشعور بالأمن والطمأنينة :

يفقد الطفل الكفيف خلال الموقف السلبى لأسرته الشعور بالأمن والطمأنينة النفسية التى يتولد منها أمن وسلامة شخصية الإنسان ، وهكذا يفقد الطفل الكفيف الخبرة الفطرية بالطمأنينة فى السنوات الأولى من حياته ، وبمرور الوقت يزداد فهم وإدراك لغة الطفل تعمقا لمظاهر عدم الطمأنينة والاستقرار النفسى ، ويؤدى النقص فى الشعور بالأمن إلى ممارسة أنماط من السلوك غير الاجتماعى ينتهى إلى نمو يتميز بالصراع النفسى ، وهذه الحالة تقوى ميل الكفيف إلى الانعزال والانطواء وتساعده على العدوان ومعاداة المجتمع .

(ب) الوضع غير العادى بين أفراد الأسرة :

لا يأخذ عادة الطفل الكفيف مكانه أو وضعه العادى فى دور أخوته ، فهو إما أن يخضع للحماية الزائدة أو يرفض ويهمل ، ونتائج الحماية الزائدة تنحصر فى خلق أنماط من السلوك يتميز بحب الذات وبالتطفل والعدوان ، بينما نتائج إهماله تنحصر فى رغبة متزايدة لإظهار قدراته وميل إلى سوء الخلق والحقد والكراهية والشعور بالضعف والقلق . وهكذا فإن التدليل وما يصاحبه من حماية زائدة أو الرفض والإهمال للكفيف يؤدى إلى اضطرابات اجتماعية تتميز بها شخصيته وسلوكه .

(جـ) النقص فى الخبرة :

نتيجة هذا الموقف السلبى يعطى الوالدان اتجاها سلبيا عند التعامل وتحصيل الخبرة من الأشياء المحيطة به والعالم الخارجى ، وخلال هذا لا يتعلم الواجبات ،

التى يجب أن يعد لها ولا يصل إلى مستوى الخبرات مثل زميله المبصر فى سنه نفسها. وتكون النتيجة عدم الوصول إلى نوع من التدريب أو الاعتماد على النفس وعدم استقلال خبراته وتنمية قدراته على التحصيل ، مثال ذلك : عدم تدريب اليد على اللمس والفحص ، عدم تدريب الأذن على تمييز المثيرات السمعية المختلفة ، عدم التدريب على حرية الحركة والانتقال والاستكشاف ، إعاقة النمو الحسى بصفة عامة. وهكذا يضر الأساس لبناء وتشكيل صورة العالم الخارجى .

والخلاصة .. فإن سلبية موقف الأسرة تجاه طفلها الكفيف تؤدى إلى إعادة نمو الكفيف جسمانيا واجتماعيا ونفسيا وحسيا ، وخلال هذا تنمو جذور لسلوك أمراض اجتماعية وبذلك يدخل الكفيف فى مجتمع غير طبيعى ، وهكذا تضيع بلا عودة الفرصة لوضع أساس حقيقى لبناء سليم فى شخصية الإنسان الكفيف ، ومع ذلك يمكن للمرء أن يتجنب نتائج هذه التربية السلبية ، عندما تصير التربية الاجتماعية للأسرة فى مجراها الطبيعى ، وكما يقدر لها أن تكون .

مجالات توجيه وتوعية الأسرة

قد يكون من نافلة القول أن تكيف الكفيف فى أسرته وفى مدرسته وفى حياته بصفة خاصة يعد من الأمور الضرورية .. وليس من الصعوبة أن يتحقق له هذا التكيف ، والتكيف ربما يكون نتيجة لعوامل خارجية مساعدة ، مثال ذلك : تأثير سلوك زملائه المبصرين نحوه ومفهومهم تجاه وضعه الاجتماعى وقدراته التحصيلية والعقلية ، وفكرتهم عن مستقبل حياته مع الإعاقة ، وهما نتيجة للصفات الشخصية للكفيف . ولكن التكيف يكون قبل كل شىء نتيجة لطبيعة ردود أفعال الكفيف على تصرفات وسلوك بيئته ، وأحسن طريقة للكفيف لينسى إثابته يجدها فى بيئته التى تهتم بمساعدته على تحقيق ذلك ، وهكذا تنمو قدرة التكيف المتعددة الجوانب عند الكفيف مع عالمه المحيط به .

يتوقف التكيف الاجتماعى للإنسان الكفيف فى أسرته على مدى استعداد أفراد الأسرة بعامة والوالدين بخاصة على قبول حقيقة كف البصر ، وعلى إعداد ونصح الأسرة ، وعلى الشرح والتفسير ، وعلى التوجيه التربوى ، والتربية الاجتماعية السليمة ، ولكن فى الوقت نفسه يشير الواقع إلى أى مدى يفعل تأثير الفكرة الخاطئة لمفهوم كف البصر وعدم تقبل الكفيف على تكيفه الاجتماعى والنفسى . وهكذا يرتبط واجب الرعاية الاجتماعية وواجبات التعليم الاجتماعى للمكفوفين بالتوجيه والتوعية الصحيحة . وعن طريق هذه الواجبات يكون الطريق ممهدا لتربية اجتماعية إيجابية للكفيف وبالتالى لتكيفه مع أسرته ومجتمعه .

وتنحصر مجالات توجيه وتوعية الأسرة أو واجبات التعليم الاجتماعى للمكفوفين فيما يلى :

١ ـ التوجيه الدينى من خلال الإعداد والنصح :

من الأمور المهمة أن تنطلق معاملة الكفيف من قاعدة القيم الدينية ، تلك القاعدة التى ترسخ معانى الحنو والرضا بقضاء الله ، ثم محاولة التفكير فى ما يمكن أن يعوض هذا الكفيف عن فقدان البصر والإحساس بتمثل القيم الدينية تأثيره الفعال فى مدى تقبل الكفيف للحياة ، ومحاولة تجاوزه بلا مناط الذى قد ينشأ عن كف البصر .

ويوضح تاريخ التأهيل التربوى للمكفوفين فى العالم الإسلامى خلال العصور الوسطى والحديثة تأثير العقيدة الإسلامية فى نفوس المكفوفين ونتقبلهم لأنفسهم والاتجاه إلى دراسة القرآن وعلومه . فقد كان المكفوفون يحفظون القرآن الكريم به ويشقون طريقهم إلى الجمعيات والمعاهد الدينية وأخيرا فى الأزهر ، وأمثال هؤلاء المكفوفين يصلون إلى مراكز لها تقديرها من المجتمع كمدرسين لعلوم القرآن الكريم أو وعاظ أو أئمة .. إلخ .

وتعتبر جامعة الأزهر أول جامعة فى العالم فتحت أبوابها على مصراعيها أمام المكفوفين ، كما أن إحصائيات المكفوفين فى المدارس والمعاهد الدينية والكليات الأزهرية تؤكد هذه الحقيقة أيضا ، وهى أضعاف زميلاتها فى مدارس التربية والتعليم والكليات والمعاهد العليا .

وفضلا عن ذلك ، يمكن للأخصائى النفسى مع رجل الدين أن يحققا موقفا إيجابيا نحو الكفيف ومع نفسه . وهكذا تقل المقاومة من جانب الأسرة نحو تقبل الكفيف من ناحية وتقبل الكفيف لنفسه من ناحية أخرى ، وبذلك يكون التوفيق والرضا بالمصير أمرا ممكنا .

٢ ـ التوجيه السيكولوجى من خلال الشرح والتفسير :

يطبق هذا المبدأ مع الكفيف نفسه من ناحية ومع أعضاء الأسرة والأقارب والمعارف من ناحية أخرى . وهذا الشرح مع التوجيه فى السنوات الحاسمة من الطفولة المبكرة يكون ذا قيمة إيجابية إلى حد كبير بالنسبة للطرفين (الأسرة والكفيف)، لما لهما من أثر فعال فى بناء شخصية الإنسان الكفيف فى هذه المرحلة من حياته .

وبالنسبة للطفل الكفيف ، يجب أن يتم التوجيه والنصح بطريقة فردية ، ويكون مرتبطا بالملاحظة الدقيقة لسلوك ومواقف الطفل .

وهذا التوجيه يتناول بصفة رئيسية ما يلى :

(أ) ماهية العقلية والأدبية للكفيف .

(ب) ماهية الإعاقة البصرية وحقيقتها .

(جـ) الجوانب الإيجابية من شخصية الكفيف وقدراته واستعداداته .

(د) الحياة النفسية فى مجال الأسرة فى المجتمع وإمكانات التكيف والتوافق مهما – كأى فرد عادى فى المجتمع .. مواطن صالح وإيجابى ومفيد ومستفيد .

(هـ) عرض إمكانات الكفيف فى ميدان التربية والتعليم والتأهيل المهنى .

(و) الامتيازات الممنوحة للكفيف والتشريعات الخاصة بهم .

وبالنسبة للأسرة والأقارب والمحيطين بالكفيف ، يجب أن تسعى عملية التوجيه والإرشاد إلى تحقيق اتجاه معين من التقبل القائم على الاقتناع والسلوك الصحيح نحو الكفيف .

ويراعى أن تعطى عملية التوجيه أهمية إلى الحقائق التالية :

(أ) معاملة الإنسان الكفيف معاملة الإنسان المبصر نفسها.

(ب) تحقيق فكرة ومفهوم صحيح عن ماهية كف البصر وشئون المكفوفين وحياتهم .

(جـ) مفاهيم سليمة عن شئون الكفيف وإمكاناته وقدراته .

(د) سلوكهم وردود أفعالهم على سلوك وتصرفات الكفيف لا تجرح مشاعره وإحساساته .

(هـ) تجنب الظروف والملابسات التى تؤدى إلى تكوين الإحساس أو الشعور بعقد الشخصية ، التى تنسب إلى ظروف ، تتمثل فى الشعور بالذنب أو الشعور بالضعة.

٣ ـ التوجيه التوبوى :

قبل أن يصل الطفل الكفيف إلى سن الإلزام لدخول المدرسة ، يجب على الوالدين أن يكونا على اتصال بأحد مراكز الاستشارة للتربية الخاصة أو إحدى مدارس المكفوفين فرعاية الطفل الكفيف تربويا عن طريق التوجيه التربوى للوالدين يعتبر أحد الواجبات الرئيسية لمدارس المكفوفين ومراكز الاستشارة للتربية الخاصة . ويحسن إعطاء أو تزويد الأسرة بدليل تربوى يعتبر بمثابة موجه لها فى تربية الطفل الكفيف – دليل ألمانيا الغربية : كيف أربى طفلى الكفيف – ولأجل تحقيق توجيه تربوى هادف يمكن أن تساهم فى هذا المجال وسائل الإعلام المختلفة من إذاعة وصحف وتليفزيون.

وهذا التوجيه التربوى يجب أن يستمر حتى دخول الطفل المدرسة وأثناء فترة تعليمه ؛ حتى يمكن للعملية التربوية فى كل من المنزل والمدرسة أن تسير فى اتجاه واحد ونحو أهداف معينة ، فيمكن لأخطاء التربية المنزلية للكفيف أن تضعف العملية التربوية فى المدرسة ، وقيمة هذا التوجيه فى مجال التكيف الاجتماعى والنفسى للكفيف كبيرة فيه يمكن للمرء أن يقلل من درجة الإعاقة أو سلبية الإعاقة وسلبيات العوامل الرئيسية فى النمو الاجتماعى للكفيف ، مثل : تقليل الشعور بالضعة - تقوية الاعتماد على النفس - وهكذا فإن تكوين أساس تربوى سليم فى مرحلة الطفولة ينظر إليه على أنه شرط أساسى لبناء أساس آخر فى مجال تربية الكفيف وتكوين الشخصية السوية .

ويمكن أن يشمل التوجيه التربوى لأفراد الأسرة الموضوعات التالية :

(أ) أن تربية الكفيف ومعاملته المعاملة العادية مثل أى طفل مبصر ليس لها القيمة العادية نفسها بل لها قيمة مضاعفة نظرا لما تفرضه الإعاقة من رعاية واهتمام خاصين ففى رعاية نموه البدنى وتلبية مطالبه واحتياجاته الفسيولوجية وتقليل درجة سلبية الإعاقة وتوفير المناخ الطبيعى للنمو السليم .

(ب) تدريب الحواس الباقية وإعدادها وظيفيا لاكتساب الخبرات من العالم المحيط بالكفيف .

(جـ) اتباع أفضل الطرق والمواقف والاتجاهات التربوية السليمة ؛ وصولا للنمو السليم لقدراته واستعداداته وبالتالى تكوين الشخصية السوية .

(د) مضاعفة الاهتمام بتزويد الكفيف بالخبرات المخلفة ، وإعطاؤه صورة بسيطة صحيحة عن العالم الخارجى .

وأخيرا عندما تثبت الأسرة أنه لا جدوى من توجيهها وتقبل طفلها الكفيف ، وليست أرضا صالحة للنمو السليم يجب أن يقيم الطفل الكفيف فى مؤسسة خيرية

للمكفوفين أو فى إحدى مدارس رياض الأطفال المكفوفين . ولكن عندما تتم عملية الإعداد للتوفيق بين الأسرة وكف البصر من ناحية وعملية التوجيه الدينى والسيكولوجى بنجاح من ناحية أخرى .. فإنه يكون قد تم وضع الأساس الأول الإيجابى للتربية الاجتماعية الصحيحة للكفيف .

مناشط التربية الاجتماعية للكفيف

تعد التربية من أهم ركائز التربية الاجتماعية وهى التى تصنع المواطنة الصالحة من خلال اندماج الفرد فى حياة وثقافة المجتمع ، وهذا يعنى أن العملية التربوية تعنى للكفيف ، كما تعنى للمبصر ، تأهيلا اجتماعيا واقتصاديا وثقافيا ، والتربية الاجتماعية للكفيف يجب أن تبدأ بصفة أساسية مبكرا كلما أمكن لما فى ذلك من أهمية بالغة للنمو السليم للقدرات البدنية والحسية والعقلية . وقد تتجلى تربية الأسرة فى تنمية وتدريب القدرات المختلفة الموجودة عند الطفل إلى تلك الدرجة ، التى يمكن أن تتابع بعدها المدرسة واجباتها نحو الكفيف .

وهكذا يجب أن تشمل الواجبات الرئيسية التربية الأسرة المجالات التالية :

١- التربية البدنية والعقلية .

٢- التربية الأخلاقية .

٣- الإعداد لمطالب المجتمع .

ومما هو جدير بالذكر أن كل واجب من هذه الواجبات التربية لا ينفصل عن الآخر ، بل كل منهما يكمل الآخر ، وعندما يهمل واجب ما يترك تأثيره على الواجبات الأخرى - ولذا فمن الأهمية بمكان أن تهتم الأسرة بنمو الكفيف ومتغيراته الجسمية ، وهذا يعنى أن تربية الجسم للطفل لا تنفصل عن تربيته المعرفية العقلية (العقل السليم فى الجسم السليم) ، كما أن التربية البدنية تعتبر ذات أهمية عظيمة للكفيف ؛ لأن النمو السليم للجسم يعتبر من ركائز نمو إرادة سليمة للحياة .

ولأجل بلوغ أهداف التربية الاجتماعية وتحقيق العمل التربية السليم للطفل الكفيف ، يجب على أعضاء الأسرة وبخاصة الوالدين أن يلموا إلماما صحيحا بالأهمية العلمية والتربوية والاجتماعية لأعضاء وحواس الجسم ، حتى يمكن أن يسير الطريق إلى العمل التربوى - وبالتالى إلى التكيف الاجتماعى - فى مجراه السليم ؛ لذا فمن الضرورى أن تأخذ الأسرة فى الاعتبار الحقائق التالية :

١ ـ الحـــواس :

(أ) أن تربية الحواس تعتبر أهم واجب من واجبات أفراد الأسرة .. فتدريب الحواس الباقية أساس من أسس التكيف الاجتماعى للكفيف ، فالحواس هى الوسائل التى تحل الخبرة للإنسان ، فعن طريقها يتصل الكفيف بما فى بيئته المحيطة به من أشياء ، وبذا يكتسب عن طريقها الخبرة والمعرفة وتقوم كل حاسة بوظيفتها فى تلقى المثيرات المختلفة فتساعده على التفكير وتكوين المفاهيم والمعانى . وهذا يؤدى إلى إدراك فائدة الحواس فى الإلمام بالبيئة المحيطة بالكفيف وزيادة الشعور بأهمية التحصيل فى مجال اللمس والسمع بصفة خاصة .

(ب) لما كانت كل الإثارات الخارجية ، وما يتعلق بها من منبهات ، تنفذ إلى عقل الكفيف عن طريق عينيه أو الإدراك البصرى وطالما لا يوجد الإدراك العصبى فيقتضى الأمر لسلامة النمو الحاسى وسلامة الحواس ؛ حتى تقوم بوظيفتها المنشودة الرعاية السليمة للحواس الباقية أثناء نموها فى مرحلة الطفولة المبكرة وحمايتها من النتائج السلبية لأى مرض أو مضاعفات أمراض أخرى ، تقلل من إيجابياتها وسلامة أداءها الوظيفى . وتقدم الأسرة بهذه الرعاية للقدرات العقلية النامية للطفل أحسن غذاء .

(جـ) لما كان كف البصر يغير بصفة جوهرية الأساس للحياة العقلية ، فإن الملاحظات الحسية الأخرى تكون القاعدة للتربية العقلية للكفيف . وهذا يعنى أن النقص

فى الملاحظات الحسية يؤدى إلى إعاقة إمكان التربية العقلية ، كما ينتج عنه نوع من السلوك يقوى ارتباط الكفيف ببيئته بدلا من الاعتماد على نفسه .

(د) أن يسعى أفراد الأسرة إلى الاهتمام بالتدريب المبكر للحواس . وتؤكد هلين كيلر هذه الحقيقة : أرد أن أذكر الوالدين والمربين دائما بأن يدربوا الأطفال منذ الصغر على الاستخدام الصحيح للحواس ... أن التربية المثالية هى التى تهدف إلى مسرة الحياة والرغبة فى البحث عن طريق اللمس والسمع والشم والتذوق والإدراك.

٢ ـ الخبرات :

إن تزويد الكفيف بالخبرات المتنوعة يمكن أن يقلل من ارتباطه الخارجى ويقوى اعتماده على نفسه ، ويرفع ثقته بقدراته ويزيد الاستقلال بذاته ويسهل تكيف الاجتماعى . وتوصيل الخبرات إلى الكفيف يمكن أن يتم عن طريق معرفة الأشياء المحيطة به والإلمام بها . وبهذا يتعلم الطفل الكفيف جوهر الأشياء وصفاتها منذ بداية نمو إدراكه العقلى . ومدى اتساع هذه المعلومات والخبرات مرتبط بالأشياء الحقيقية فى عالمه والموجودة فى حياته .

وبناء على هذه الحقيقة ، يجب أن نطلع الكفيف على جميع مجالات النشاط البشرى فى البيئة والمجتمع تبعا لقدراته التحصيلية وبالطرق والوسائل المناسبة لظروفه الخاصة . ويحسن بل من الضرورى أن يزود المرافق لكفيف بشرح موجز ومبسط لكل ما يقدمه له .

٣ ـ المعاملة العادية :

(أ) من يشاء أن يربى طفله الكفيف تربية سليمة ، يجب أن يفكر ألا يفرق بينه وبين الطفل العادى من حيث مظاهر وصفات النمو الرئيسية لشخصية الطفل . لذا يجب على المرء أن يعرف نتائج فقدان البصر ليأخذها فى اعتباره عند تربية

الطفل الكفيف ؛ حتى يمكن أن يعوضه إلى أكبر حد ممكن فيما حرمه كف البصر بمختلف الأساليب والإمكانات المتوفرة .

(ب) يوجد أولياء يعتقدون أنهم يحسنون صنعا عندما يمنعون الطفل الكفيف من القيام ببعض الأعمال المناسبة أو يحققون له جميع رغباته عطفا عليه .. إن هذا الطفل يتأخر عقليا ، وبهذا تستيقظ فى الطفل احتياجات خاطئة ولكن لا تزيد من استقلاله الذاتى .. فكيف تكون حينئذ عظم مسئولية الأسرة نحو طفلها الكفيف من جانب والديه وإخوته تؤدى إلى ضعف الإرادة ، وعلى العكس من هذا .. فعندما يتعود الطفل خدمة نفسه بنفسه ، فتتكون حينئذ قاعدة لها قيمتها فى تكوين إرادة الطفل الكفيف .

وهذا الموقف من جانب الوالدين مظهر من مظاهر الإفراط فى رعاية الطفل الكفيف وحمايته التى تتمثل فى الحماية الزائدة من الأخطار ، والمغالاة فى رعايتهم ، والتفكير الدائم من مصيرهم مع الإعاقة ، وعجزه فى الدفاع عن نفسه من خطر ومضايقات واعتداءات الآخرين عليه أثناء اللعب أو الاختلاط معهم ، وفى تقديم كميات كبيرة من الطعام فوق طاقتهم . ونتائج هذا الأسلوب من التربية وهو الإفراط فى رعاية الطفل الكفيف وحمايته والإسراف فيه والعطف عليه تنحصر فى الحقائق التالية :

(أ) تعطيل نموه فلا تتاح له فرص الاستقلال بنفسه ولا تنمية ذات مستقلة عن الآخرين .

(ب) فقد الثقة بنفسه لأنه يشعر بأنه عاجز عن القيام بإشباع حاجاته بنفسه ، يتضح ذلك عندما يخرج إلى الحياة الاجتماعية بعيدا عن أسرته .

(جـ) تنمية صفة الأنانية فهذا الأسلوب يجعله يصور نفسه كأنه مركز الحياة ، وعندما يخرج إلى الحياة ولا يجد الاهتمام نفسه ، الذى كان يجده فىالأسرة يعتقد أن

المجتمع لا يقدره ، فيتخذ موقفه نحو العالم الخارجى إما على شكل عدوانى وإما على شكل انطوائى أو انعزالى عنه ، وبذلك يختل توافقه مع الآخرين .

(د) حرمانه من فرص التعليم الذاتى ؛ لأنه تعود أن يقدم له كل شىء ، وبذلك لا يقوى على مواجهة الحياة ومشكلاتها .

(هـ) عدم النمو والنضج الاجتماعى السليم .

من الواجبات المهمة للأسرة أن تسعى ؛ ليتمتع الطفل الكفيف بفترة شباب سعيدة ، عن طريق طفولة تتميز بحرية الحركة واللعب فى جماعة والترفيه الموجه الذى يولد السرور والابتهاج الفطرى للعقل ؛ فيكتسب الطفل الكفيف بهذا كنزا لا يفنى لحياته المستقبلية ، وأى فترة طفولة كئيبة ومعوقة للنمو الطبيعى تبقى فى عواطف الكفيف مثل الظلال السوداء التى لا تختفى أبدا حتى خلال سعادة حياته المستقبلية .

وعلى العكس من ذلك ، فإن طفولة سعيدة تعتبر التربية الصالحة التى يلقى فيها بالأخلاق الفاضلة والبذور الطيبة . وهذا يؤكد أهمية مرحلة الطفولة المبكرة فى حياة الإنسان ، ففيها تتكون المعالم الأولية لشخصية الطفل ، وفيها تنمو بذور التوافق والتكيف . والواقع أن كل إنسان يحمل فى طيات نفسه رواسب الطفولة ، والخبرة فى الطفولة تحدد بدرجة واضحة وسيلة الرضا النفسى والتوافق فى الحياة المتأخرة ، وهذا يوضح بجلاء العلاقة الوثيقة بين التكيف وعملية النمو .

وحيث إن البيئة المحيطة بالطفل تعتبر عاملا مهما فى تشكيل شخصيته وتكوين اتجاهاته وميوله ، يتطلب الأمر من الأسرة فهم وإدراك خصائص النمو فى النواحى البدنية والحسية والعقلية والعاطفية والاجتماعية لمقابلة وإشباع حاجاته المختلفة ، وهذا يساعد على معرفة طرق التعامل معه ومراعاة قدراته وظروفه الخاصة ومساعدته على النمو السليم والتكيف مع نفسه وأسرته ومجتمعه ..

وإذا لم يتوافر الجو الاجتماعى السليم والفهم الصحيح لإعاقة الطفل ونتائجها فيؤدى ذلك إلى اضطراب شخصيته ، وستبقى آثار هذا الاضطراب النفسى مصاحبة لشخصيته مستقبلا .

(و) إن الحاجة إلى الحب ذات جذور عميقة فى حالة الإنسان ، فالطفل الكفيف كأى طفل عادى يولد عاجزا عن التكيف بنفسه مع البيئة الاجتماعية والطبيعية المحيطة به ، إذ يحتاج إلى من يرعاه ويشبع حاجاته الأولية . ونتيجة لذلك ينشأ الطفل معتمدا على الآخرين ، وهذا يولد فيه الحاجة إلى الرفيق ، وتشبع هذه الحاجة ارتباطه مع أفراد أسرته . وطول مدة الطفولة التى تحتاج فيها إلى رعاية الآخرين وظروف إعاقته ، هى التى تولد فيه الحاجة إلى انتباه الآخرين وتقديرهم وحبهم له .

والأم هى أول من تعود الطفل الكفيف ، كأى طفل عادى ، الحصول على انتباهها واهتمامها وتقديرها وحبها ؛ لأنها أول إنسان يتعرف عليه أثناء إشباع حاجاته الأولية ، ويتعلم أيضا أن الحصول على انتباه الآخرين شىء مهم وضرورى لإشباع حاجاته المختلفة ، وليشعر بالأمن والاطمئنان النفسى .

وعدم إشباع حاجة الطفل إلى الحب يؤدى إلى تحطيم نفسيته ، والحرمان منه يؤدى إلى القلق وغيره من ألوان الاضطراب النفسى ، والبحوث أكدت أن انتزاع الطفل من أمه ووضعه مثلا فى مؤسسة عامة يؤدى إلى اضطرابات نفسية وتأخر فى نموه الجسمى والعقلى والاجتماعى .. لذا فإن إشباع حاجة الطفل الكفيف إلى الحب شرط أساسى لصحته النفسية ونموه السليم وتكيفه مع البيئة المحيطة به .

(ز) أن الانتماء إلى جماعة الأسرة حاجة من الحاجات الأساسية للنمو النفسى والاجتماعى عند الطفل الكفيف ، إلا أنه فى بعض الأسر يقوم الأب أو الأم بدافع من موقفه نحو كف البصر بأنماط من السلوك تدفع الطفل الكفيف إلى

الشعور بأنه غير مرغوب فيه ، وكلما تكرر هذا السلوك وخاصة فى المرحلة الأولى من حياة الطفل أصبح ذى أثر سيئ فى تربيته وصحته النفسية ، ومن بين أهم أنماط السلوك التى تدعو الطفل الكفيف إلى الشعور بأنه غير مرغوب فيه ما يلى :

١- إهمال الطفل وعدم السهر على راحته .

٢- عدم الاعتداد به أثناء المأكل والملبس ونظافته اليومية .

٣- الانفصال عنه لفترات طويلة أو قصيرة من اليوم .

٤- إظهار مشاعر عدم التقبل .

٥- إهمال شئون الطفل اليومية وعدم السهر على راحته .

(ح) إن الطفل الكفيف فى حاجة شديدة إلى الشعور بالأمن والاطمئنان النفسى ، ولا تشبع هذه الحاجة إلا إذا بادلته الأسرة المحبة وقبلت إعاقته ومصيره واستقرت فى اتجاهها نحو الإعاقة وبالتالى فى أساليب المعاملة معه . فشعور الطفل الكفيف بحسب من يحيطون به ضرورى لشعوره بالأمن ، وهذا الحب يجب أن يكون حبا حقيقيا وليس مظهرا خارجيا لحب مفروض من الخارج .

والحب لا يشعر به الطفل الكفيف إلا إذا أحس بأن الأسرة تقبلته كما هو عليه مرغوب فيه ، وكلما كانت اتجاهات الأسرة نحوه ومعاملتها له ثابتة ومستقرة ولا تتعرض للتذبذب أو التغير ، ساعد ذلك على شعوره بالأمن والطمأنينة بصفة مستمرة . وثبات أساليب المعاملة شرط أساسى من شروط سلامة شخصيته واستقراره النفسى ، أما اختلافها وتغيرها (بين قسوة الأب وصلابته ورفضه لتقبل ابنه الكفيف وبين تعاطف الأم وحبها لابنها) يؤدى إلى حرمان الطفل من هذا الشعور واضطرابه النفسى وعدم تكيفه .

والخلاصة أن تقبل الطفل ومحبته واستقراره هذا الموقف نحوه شرط أساسى لنموه الانفعالى وتكيفه السليم مع أسرته وبالتالى مع مجتمعه .

٤ ـ البعد عن أساليب التربية الخاطئة :

(أ) إن العلاقة الوثيقة الدائمة التى تربط بين الأم وطفلها الكفيف أساس لتربيته السليمة ولصحته النفسية المستقرة ، وغياب هذه العلاقة يؤدى إلى حرمانه من رعاية أمه وعطفها ، وهذا الحرمان يكون ضارا إذا كانت توجد علاقة طيبة وثيقة ثم حرم منها الكفيف لسبب أو لآخر وبخاصة فى مرحلة الطفولة المبكرة . ويؤدى الحرمان من رعاية الأم واهتمامها بطفلها الكفيف إلى تعطيل النمو الجسمى والحسى والعقلى والاجتماعى ، وتكوين ذاته وتعرضه للانحراف .

(ب) إن إشعار الطفل الكفيف بعدم التقبل والنبذ والإهمال له تأثيره البالغ فى عدم تربيته التربية الاجتماعية السليمة ؛ لأنه يعتمد بحكم إعاقته على والديه فينتظر منها القبول والاهتمام والرعاية والعطف والحنان . ومن أساليب الإهمال والنبذ والرفض : التهديد بالعقاب البدنى – التهديد بالطرد من المنزل – كثيرة التحذيرات – إذلال الطفل فى صورة نقد أو سخرية – أو لوم أو يقارنه بغيره من المبصرين – عصبية الأم وخاصة أثناء إشباع حاجاته الأولية – عدم حمايته من الأخطار الخارجية أو من أذى إخوته وسوء معاملتهم له . ومن نتائج هذا السلوك التربوى الخاطئ : العدوان – العناد – حقده عليهم – تحديد السلطة والأوامر – الميل إلى التخريب والتدمير .

(جـ) إن الإفراط فى التسامح والتساهل والصفح فى معاملة وتربية الطفل الكفيف يؤدى إلى نتائج عكسية . ويرجع سبب هذا السلوك إلى أن الأب أو الأم قد بادلا الطفل الكفيف فى أول الأمر شعور الرفض والكراهية والحرمان من الحب

والتقدير ثم شعور بالإثم بخطأ هذا الموقف ، فأراد أن يكفر عنه باتخاذ سلوك مضاد أو عكسى ، ويتمثل فى التسامح والتساهل والصفح عن كل ما يصدر عنه والعطف المبالغ فيه . ويترتب على هذا السلوك : عدم النضج الانفعالى - تأييد سلوكه وتصرفاته الخاطئة - الاعتماد عليهما بصفة مستمرة - عدم الشعور بالمسئولية - الاضطراب النفسى عن مواجهة بعض المواقف فى حياته العملية .

(د) إن التربية السليمة التى تقوم على صرامة الوالدين وقسوتهما نحو الطفل الكفيف تحرم الطفل من التربية السليمة والاستقرار النفسى والتكيف ومن إشباع الكثير من حاجاته النفسية ، ومثال ذلك : الأمر والنهى - النقد المستمر - العقاب والتهديد - مقاومة رغبات وميول الطفل . ومن أهم نتائج هذا الأسلوب من المعاملة يتمثل فى ميل الطفل إلى الاستكانة - الخنوع والخضوع والطاعة العمياء - عدم القدرة على المناقشة وإبداء الرأى - الشعور بعدم الثقة فى قدراته وذاته - عدم القدرة على مواجهة مواقف الحياة العملية بمفرده .

بعد هذا المدخل العام تتضح الأهمية التربوية والاجتماعية والسيكولوجية للواجبات الرئيسية للتربية الاجتماعية السليمة من جانب أفراد الأسرة نحو الطفل الكفيف ؛ حتى يمكن لهم أن يدركوا أهمية الدور الذى يقومون به فى تربية الطفل التربية الصحيحة وتكوين شخصيته وتشكيل حياته ومستقبله .

التربية البدنية والعقلية :

١ ـ الحاجات الأولية :

يقصد بالحاجات الأولية تلك الحاجات ، التى لم يكتشفها الفرد من بيئته عن طريق الخبرة والتعليم ، وإنما هى استعدادات يولد الفرد مزودا بها ، وهذا النوع من الحاجات يعتمد فى إثارته على الحالات الجسمانية الداخلية ويعنى بها التغيرات الكيماوية والعضوية والعصبية داخل الجسم ، وهذه الحاجات الأولية مشتركة بين

جميع البشر ، مثال ذلك الحاجة إلى الطعام والشراب والتخلص من فضلات الجسم، والحاجة إلى النوم ، ويعتبر إشباع هذه الحاجات الأولية او الفسيولوجية للطفل الكفيف أمرا ضروريا لتكيفه ونموه البدنى والنفسى .

٢ ـ أمثلة لبعض حالات الحياة اليومية :

بجانب تلبية الحاجات الأولية ، يجب أن تسعى الأسرة إلى تربية الطفل الكفيف على النظافة العامة – وهى محور الرعاية والعناية به – وتكوين عادات النظافة اليومية التى تتصل بنظافة الجسم وجهه وشعره وأسنانه وملابسه وحذائه ومظهره العام . ويمتد هذا الاهتمام والعناية به إلى أن نترك الطفل بمرور الوقت أن يتعلم كيفية ارتداء ملابسه الداخلية والخارجية وحفظها بخاصة أدوات المائدة وكيفية استعمالها والأكل وآداب المائدة والمحافظة على ملابسه أثناء تناول الطعام ، وبالطريقة نفسها ، تدربه على غسل الأيدى والوجه هلم جرا من عادات النظافة اليومية .

وتزود أفراد الأسرة إمكانات مثيرة ومجالات متعددة لرعاية النمو الروحى للطفل الكفيف ، وتكوين بعض العادات اليومية اللازمة لنظافته وحسن هندامه ، ونظافة ملابسه وإقلاعه عن ممارسة بعض الحركات اللاإرادية غير المرغوب فيها .

أمثلة هذه الفنيات للحياة اليومية تتطلب الاستخدام السليم للحواس الباقية والاعتماد على قدراته ؛ حتى يصبح مستقلا بنفسه فى خدمة نفسه بنفسه ؛ حتى يظهر بين أفراد أسرته والمجتمع المحيط به بمظهر مقبول وطبيعى .

بالإضافة إلى ذلك فمن المهم للحياة اليومية للكفيف فى المنزل أن تزيل الأسرة الموانع من طريقه وكل صعوبة تعترض حركته وانتقالاته فى حجرات المنزل . وهكذا يمكن الطفل الكفيف أن ينظم الوسائل المساعدة له فى تحركاته وتنقلاته ، وأن يصبح حرا من الانتباه واليقظة أثناء تحركاته اليومية فى المنزل .

٣ ـ تنظيم مطالب النمو الجسمى :

يجب ألا يؤثر موقف الأسرة من طفلها الكفيف خاصة موقف الرفض أو عدم التقبل الكامل فى عدم تنظيم مطالب النمو الجسمى أو الإهمال فيها . وينبغى على الوالدين الالتزام بالخلط الطبيعى فى تنظيم حاجات وعادات النمو الجسمى . مثال ذلك :

(أ) تنظيم حاجات الطفل الإخراجية فى أوقات معينة ، مع توجيه عناية خاصة مقترنة بالتشجيع والمعاملة الهادئة والبعد عن أساليب الزجر والعقاب والتهديد والتأنيب .

(ب) تنظيم أوقات الغذاء فيجب أن تتم عملية الفطام تدريجيا بمعنى أن الطفل يتدرج فى الانتقال بين الاعتماد التام على لبن الأم إلى الفطام الخارجى . وهذا التدرج لا يفيد فقط من الناحية الجسمية ، بل إنه ذو أهمية خاصة للصحة النفسية للطفل الكفيف ؛ لأن الفطام المفاجئ يمثل حرمانا قاسيا لازال الطفل الرضيع أصغر من أن يتحمله ، كما أن قد يكون عند الطفل الكفيف بعض الميول العدوانية إزاء العالم الخارجى ، الذى يعتبره مسئولا عن حرمانه من صدر أمه .

٤ ـ الحـــركة :

تعتبر الحركة قوة تربوية وعقلية عند الطفل الكفيف . وتبدو أهمية تربية الحركة فى تكوين شخصية الكفيف إذا أخذنا فى الاعتبار أنه من النتائج الرئيسية المباشرة لفقد البصر ، بطء حركة الكفيف وعدم ملامستها ، والإسراع بتربية الحركة الذاتية وتحريرها من المعوقات له أهمية كبرى للنمو البدنى والعقلى والنفسى . وإذا تمت تربية الحركة للطفل الكفيف فى خطها الطبيعى كأى طفل عادى يمكن أن يتحكم فى جسمه واتزانه ، وأن يتحرك بحرية ، ودون قلق أو تردد .

وعلى العكس من ذلك ، تؤدى إعاقة إمكانات الحركة والانتقال وإهمال تدريب الطفل على حرية الحركة والاستكشاف إلى زيادة الارتباط الخارجى وعدم سلامة حركته فى الجلوس والوقوف والمشى وإعاقة نموه البدنى بصورة أو بأخرى ، وأخيرا إلى الاضطرابات النفسية . لذا فمن الضرورة أن تبدأ الأسرة - مبكرا كلما أمكن ذلك - فى تدريب الطفل على ممارسة تمارين الحركة والانتقال . وبذلك تصل الأسرة مع الطفل الكفيف إلى نتيجة أفضل فى تدريبه على الحركة الصحيحة .

ويمكن للأسرة أن تبدأ بتربية الحركة عند الطفل وهو مازال فى المهد فعند تغيير ملابسه تساعده على القيام بمجموعة من التمرينات والحركات التى تقوى عضلاته وتساعده على النمو العضلى . وهذا يساعده فيما بعد على إمكان قيامه بخطوات أولى فى الحركة والانتقال .ويراعى أن تبتعد هذه الحركات الرياضية عن العنف ، وتتركز أساسا فى تنظيم حركات الطفل التلقائية بيديه ورجليه والنوم على بطنه وظهره .

وتظهر أهمية هذه الحركات والتمرينات الأولية ، إذا علمنا أن الطفل الحديث الولادة عاجز عن الانتقال والحركة فى المكان بمفرده ، وبعبارة أخرى فالطفل عبارة عن مجموعة قوى كامنة لم تتحرر بعد ، وهذه القوى تنطلق فى سن المهد ، فالطفل فى هذه المرحلة يجب أن يجيد السيطرة على المشى وهى عملية أساسية فى النمو الحركى فهى تكسبه الاستقلال والاعتماد على نفسه وتتيح له فرص اكتشاف العالم الخارجى عن طريق الانتقال فيه ، وإن كان المشى ما هو إلا تطور فى النمو الحركى عند الطفل فهو استعداد فطرى ؛ إذ يبث الإنسان القدرة على استعمال رجليه فى الحركة والانتقال فى المكان ، ويحتاج الإنسان لكثير من التجارب والتمارين والتدريب حتى يمكنه القيام بالمشى والحركة بطريقة صحيحة ؛ إذ ينبغى أن تتاح الفرص الكافية للطفل الكفيف على ممارسة هذا النشاط الحركى والعضلى تجنبا لضعف تكوين عضلاته أو إصابته بالكساح .

إن النمو الحركى للطفل الكفيف يجب أن يسير فى الاتجاه الرئيسى نفسه الثابت للنمو الحركى لأى طفل عادى ، بمعنى أن يسير النمو الحركى من الرأس إلى القدم ، وهذا يقتضى أن يسيطر الطفل الكفيف أولا على رأسه وعنقه ، ثم على صدره وظهره والجزء الأسفل منه وأخيرا على رجليه .

وتتم عملية المشى والحركة على مراحل معينة :

(أ) حتى الأسبوع الثانى عشر : يكون ملقى على ظهره ، وهو لا يستطيع الحركة فى هذه الفترة .

(ب) حتى الأسبوع الربع والعشرين : فى هذه المرة يكتسب أمورا كثيرة فى نموه الحركى ، فيمكنه أن يتخذ وضع الجلوس فى الوقت نفسه تتجه رأسه نحو الثبوت والاستقرار .

(جـ) حتى الأسبوع السادس والثلاثين : يمكن للطفل أن يجلس بمفرده لدقائق معينة ويمكنه أن يحبو فى الأسبوع السادس للمشى ، فالمعدة والحوض وعضلات الظهر تدرب وتقوى ، وهذا يمكنها أن تنمو بصفة طبيعية .

(د) حتى نهاية العام الأول : يجيد الطفل الجلوس ويحتفظ بتوازنه إذا أراد أن يتحول فى جلسته ، كما أنه فى مقدور الطفل أن يكيف جلسته لمواجهة الأشياء التى يلمسها من حوله أو ألأشخاص الذين يسمع أصواتهم ، كما يمكنه أن ينتقل من حالة الجلوس إلى النوم على البطن وبالعكس .

(هـ) فى نهاية الشهر الأول من السنة الثانية يبدأ الطفل المشى بمساعدة خارجية ثم دونها ، وبذلك يصبح أكثر استقلالا عن أمه أو أكثر رغبة فى الحركة لأنها وسيلة من وسائل إشباع حاجاته بطريقته الخاصة .

ووصولا لتربية الحركة الصحيحة وإمكانة الحركة الحرة ، يجب على أفراد الأسرة مراعاة التوجيهات والقواعد التربوية التالية :

١- إثارة الدافع إلى الجلوس ثم إلى المشى والحركة ورعايته بصفة مستمرة لينمو طبيعيا حيث أنه معوق بسبب غياب عنصر التقليد والمحاكاة القائم على الملاحظة البصرية .

٢- الوصول إلى قوة اتزان الجسم أثناء الجلوس ثم أثناء الوقوف على الساق وإشراك اليد فى ذلك وتجنب الخبرات السلبية المصاحبة لهذه المرحلة ، ثم أثناء المشى بعدم الاهتمام فى أول الأمر التركيز على الاتزان ثم التدرج فى تحقيق ذلك بواسطة المساعدة الخارجية مثل الكرسى المتحرك - الأشياء الثابتة فى المنزل أو الحجرة كمعينات للاتزان وأدلة توجيه والتقدم فى المشى والحركة خطوة بخطوة .

٣- إزالة الأشياء من طريقه وفى مجالات تحركاته وانتقالاته داخل المنزل أو الحديقة أو ريثما كان .

٤- تدريب الحواس والقدرات العقلية أثناء المشى والحركة ، أى ربط المؤثرات التى يستخدمها فى الحركة - معرفة مواد لمس مختلفة) ، السمع (استخدام الإثارة الصوتية للجرى والحركة أو الانتقال - استخدام الضجة ، مثل : المنبه والنداء والتصفيق والنقر لأدلة توجسية) ، الشم (معرفة رائحة الأماكن المميزة فى المنزل وخارجه) ، وربط المؤثرات الحسية المختلفة يساعد فى نجاح عملية التدريب على الحركة الصحيحة ومعرفة طبيعة مجال حركته ونوعه والاتجاه والتوجيه السليم أثناء عملية الاستكشاف والانتقال ، ويدخل فى هذا المجال أيضا تدريب القدرات العقلية : القدرة على التذكر - القدرة على التخيل - القدرة على كسب الخبرة الحسية .. وهكذا .

٥- استهلاك واستنفاد طاقة الطفل الكفيف فى الحركة وممارسة بضعة تمرينات والتدريبات الحركية البسيطة المناسبة لظروفه ، مثل : التدحرج - الانحناء - الحجل - الدوران واللف حول نفسه - الجرى لمسافات قصيرة - التدرج فى القفز على السرير ، والنزول منه - الجلوس على الكرسى والنزول منه لوحده - صعود درجات اسلم . وهذه التمرينات تستهدف من بين ما تستهدف تقوية العضلات والعظام ، وإتاحة فرص النمو البدنى السليم .

٦- القيام ببعض الأعمال المنزلية والمشاوير الصغيرة عندما يكبر ، وكلما تعددت جوانب هذه الأعمال المنزلية ، أصبح الطفل الكفيف أكثر أمنا واستقلالا فى تحركاته وكلما أصبحت حواسه أكثر تدريبا زادت مجالات خيراته .

٧- تجنب الحركات اللاإرادية وغير المألوفة والمفرط والمبالغ فيها مثل حركات الرأس المائلة والوجه المتحرك أثناء التدريب على الحركة والمشى . أمثال هذه الحركات تقوى عند من عندهم نقص عقلى وتضعف ، عندما تهتم البيئة المحيطة بتوجيهه إلى الإقلاع عنها بصفة مستمرة .

٨- اقتران الحركة بالانبساط والفرح والتشجيع ، مثال ذلك طريقة توجيهه والكلام معه أثناء التدريب - طرق التشجيع المختلفة - إعطائه لعبه ، فكل هذه الأساليب وغيرها تزيد من رغبته وفرحته لممارسة ألعابه ، وبالنشاط الحر يشاركان الطفل لأن العمل أو النشاط مختار منه تلقائيا ، ويجمل أحد التربويين المكفوفين بعض هذه المبادئ الرئيسية فى تدريب الطفل الكفيف على الحركة ، فيقول : إن سلامة الحركة تزداد خلال اللعب الحر والمراقبة الدقيقة بقواعد الحركة العامة وخلال التدريب على المشى وتجنب أى سلوك غير ضرورى . وفى النهاية يمكن أن تتساوى حركة الإنسان الكفيف بحركة الإنسان العادى تقريبا .

٩ - يعنى اللعب بالحركة ، واللعب دون حركة لا يسفر عن شىء أى لا تكون له نتيجة أو قيمة ، فإذا استقر الطفل فى مكانه دون حركة فهو لا يلعب ، ولكن الطفل الصغير يتميز بالنشاط وعدم الاستقرار فى مكان واحد مدة طويلة فهو يميل إلى الحركة والانتقال والكشف عن بيئته الخارجية ؛ لذا فاللعب يرتبط بالحركة، والحركة تدريب على أنواع معينة منها لعب لإجادتها والسيطرة على حركات رئيسة معينة فى الجسم .

ويضفى أساتذة تربية المكفوفين أهمية جوهرية على اللعب بالنسبة للطفل الكفيف ، وهذه الأهمية يمكن تلخيصها فى العبارات الموجزة التالية :

١- فيقول فروبل : إن اللعب يعتبر الإنتاج الأكثر صفاء وروحانية للإنسان فى هذه المرحلة من حياته ، وفى الوقت نفسه يعتبر ضرورة لحياة الإنسان بصفة عامة ولحياته الداخلية بصفة خاصة ، ومن ثم يكسبه اللعب حرية وفرحا وسرورا وهدوءا نفسيا واطمئنانا مع عالمه .

٢- ويقول هلر : إن اللعب هو المدرسة الأولى المهمة للإنسان للاستقلال بنفسه خلال الابتكار الحر والتصميم واختيار التعامل الملائم . وفى هذه المدرسة تنمو كل القوى النفسية نموا طبيعيا وهادئا ودون قيد . ولذلك يمكن للطفل أن يستمر فى اكتسابه للقوى النفسية عن طريق اللعب .

٣- ويلخص تسش أهمية اللعب ، فيقول : إن اللعب - وخاصة فى الخلاء - وسيلة مهمة لتقوية جسم الطفل الكفيف ، وإتقان عملية الاستكشاف وتوسيع خبراته وتكوين قيم خلقية . ولأجل أن تصبح هذه الأهمية حقيقة واقعة يجب - قبل كل شىء - إثارة ورعاية دوافع اللعب فى السنوات الأولى من حياة الكفيف فعندما يصبح الدافع إلى النشاط حيويا ، فحينئذ يكون قد وضع أساس سليم إلى حد

كبير . وحيث إن دافع المحاكاة والتقليد عند الطفل الكفيف يكون موقوفا ومعوقا عن النمو لفقدان الملاحظة البصرية ، يجب على المرء أن يرعى إثارة هذا الدافع عن طريق تقديم إمكانات العمل والحرية فى تشكيل الحركة ، وبهذا تحتفظ الدوافع والرغبات وصفات شخصية الكفيف بأسلوبها الصحيح . وهذا يكون واجب الأم أولا التى ترعى طفلها للعب والغناء وتقدم له التوجيه اللازم ، وهكذا يحتفظ دافع اللعب عند الطفل بالأهمية المزدوجة التالية :

(أ) فهو يصبح شرطا ضروريا للنمو البدنى .

(ب) كما أنه يصبح الوسيلة الأولى التى تنقل القدرات والقوى من صورتها الطبيعية – من مجرد دافع حيوى – إلى ارتقاء بالثقافة العقلية للإنسان الكفيف .

وبهذا يمكن أن تبلغ رغبة الطفل الكفيف للعب وممارسته له الفائدة الصحيحة منها ؛ إذ ينمو ما هو مصدر لتكوينه البدنى والعقلى فى المستقبل وتثير فى نفسه اختيار أدوات لعب مناسبة .

وتؤثر أدوات اللعب واختيارها على الممارسة البدنية والعقلية للطفل الكفيف فتثير خياله وعقله المبتكر ، بالإضافة إلى ذلك .. فإن الاشتغال بأدوات اللعب والصوتية منها مهم لتشكيل مهارات اللمس والسمع . ومن ناحية أخرى ، يجب أن يحتفظ الطفل الكفيف فى أرجوحته أو سريره بأدوات لعبه مع تغيير متكرر لها ؛ حتى لا نتركه يكتشف تشابهها فلا يتسرب إليه الضجر والملل . ويراعى فى اختيار أدوات اللعب عوامل الأمان وعدم إحداث أى ضرر أو أذى لأى اللعب يعتبر غير كاف ؛ إذ يجب أن يصاحبها وصف مبسط لها ، والإجابة عن استفسارات الطفل حولها .

وحيث إن اللعب فى مرحلة الطفولة المبكرة يكون من النوع غير الموجه فهنا تبدو أهمية توجيه لعب الطفل الكفيف التوجيه الصحيح ، فتنظيم النشاط وتوحيد

الهدف يجب أن يخطط له .. فالنشاط يترك أثره فى العواطف والإرادة ، وهذا يؤدى بطبيعة الحال إلى الصراع بين الطفل وبيئته . ويحدث هذا الصراع تقريبا أثناء فترة المعارضة . ويحسن أن يحدث هذا ، فأحد مبادئ الخبرة فى علم النفس العام يقول : إن إنسان يمر فى طفولته بفترة معارضة سهلة يكون فى حياته ضعيف الإرادة ، وليست لديه القدرة على التصميم والبت فى الأمور ... ولكن عندما يمر الطفل الكفيف بفترة معارضة قوية ، فقد تكون له إرادة قوية وشخصية غير ضعيفة .. وعلى أى حال فالمعارضة والاضطراب الانفصالى ليست صفات خاصة بتربية المكفوفين فهى من مشكلات تربية الأطفال بصفة عامة .

وهناك عدة اختبارات التى تجعل لعب الطفل الكفيف ممكنا . وهذه الاعتبارات تكون فى الوقت نفسه الأوضاع الأساسية للعب ، وهى تعنى : الصدفة ، المهارة ، والتقليد ، وبذلك توجد ثلاثة أنواع من الألعاب :

١- ألعاب الصدفة التى تقوم على أساس الصدفة أو المصادفة .
٢- ألعاب المهارات التى تقوم على أساس مهارة ما .
٣- ألعاب التقليد التى تقوم على أساس التقليد والمحاكاة .

ويمكن للأم أن تقوم بدور رئيسى وبارز فى مساعدة الطفل على ممارسة الكثير من هذه الألعاب ، سواء مما هو متصل منها للعب بأدوات خاصة ومستقلة أو ممارسة بعض الحركات والتمرينات البسيطة بهدف إكسابه المهارات البدنية والحركية الأساسية الأولية وتجنب الأخطاء والعيوب المرافقة لها ، أو ما يتصل بالكلام المنظوم أو مصاحبة الموسيقى وبعض الأغانى والعبارات والجمل التوقيعية . ويساعد أفراد الأسرة أو الأصدقاء الأم فى الاشتراك مع الطفل الكفيف فى ممارسة هذه الألعاب المختلفة . وفى منتصف العام الرابع من العمر يبدأ الطفل ميله نحو غيره من الأطفال

فى الظهور ؛ إذ يشرع فى اللعب وسط الأطفال ، ويبدأ ذلك بمرحلة يشترك فيها لعبه مع غيره من الأطفال ، على شرط أن يكون لكل طفل لعبه الخاصة ثم تليها مرحلة اشتراك الجميع مع بعضهم البعض فى اللعب بأدواتهم جميعا .

ومن هنا يجب أن تتاح الفرص أمام الطفل الكفيف ليلعب مع زملائه المكفوفين والمبصرين ، فدون شك تلعب مجموعة أصدقاء اللعب تأثيرا جوهريا فى حياة الطفل الكفيف وشخصيته ؛ إذ يجب على الطفل الكفيف أن يكتسب المقدرة من مجتمع زملائه المكفوفين للتغلب على الهزات والاضطرابات النفسية التى تواجهه فى مستقبل حياته ؛ حتى لا يترك لهذه الصدمات أن تسيطر عليه نفسيا فتؤدى إلى عدم تكيفه مع نفسه ومع الآخرين ومع بيئته ثم مجتمعه .

بالإضافة إلى ذلك ، فمن الضرورى نصح وتوجيه الأطفال المبصرين المشتركين مع الطفل الكفيف فى اللعب قبل اندماجه معهم ؛ لأن الطفل الكفيف يصبح غالبا حساسا فعاقته ومتيقظا لعاهته فى مجموعات المبصرين ولأن لسلوك وتصرفات زملائه المبصرين ردود أفعالهم على سلوكه أهمية نفسية واجتماعية لذاته وتكيف مع نفسه ومعهم وأفراد المجتمع بصفة عامة . ويمكن أن يقوم والدا الطفل الكفيف بالتوجيه والإرشاد ، فيحدثان آباء وأمهات الأطفال الآخرين عن طريق التعامل والسلوك المناسب لأطفالهم تجاه طفلهما الكفيف . وبالتالى يجب على آباء وأمهات أصدقاء الكفيف فى اللعب أن يوجهوا أطفالهم إلى هذا مع تزويدهم بفكرة مبسطة عن ماهية كف البصر . ويمكن أن تقوم مدارس المكفوفين ومراكز التوجيه والإرشاد التربوى للتربية الخاصة بدور كبير فى عملية التوجيه والإرشاد ، حفاظا على نفسية الطفل الكفيف وشخصيته فى هذه المرحلة من حياته من أى انحراف أو ضرر يتعرض له ويمكن تجنبه .

ويعتبر التقاء او اجتماع الطفل الكفيف مع الأطفال المبصرين على جانب كبير من الأهمية لما يلى :

١- خلال الاختلاط والاندماج مع المبصرين يكتسب طابع الأمان والطمأنينة وتقوى الثقة بنفسه .

٢- اتصال واحتكاك الكفيف مع الأطفال المبصرين يعتبر بمثابة اتصال مع العالم الخارجى .

٣- يخرج الطفل الكفيف من سلبيته وأنانيته .

٤- يتغلب الكفيف على إعاقته وينمى فى نفسه القدرة على المساعدة ومواجهة مواقف الحياة .

٥- يتعلم الكفيف أنه ليس من الصعب عليه أن يترك وحده بين إخوانه المبصرين بعيدا عن الأسرة .

٦- لعب الطفل الكفيف مع المبصرين فى الهواء الطلق مثل الحديقة لا يعتبر مهما من الناحية الصحية فحسب ، بل ضروريا أيضا لنموه العقلى والحسى ؛ لأن الطفل الكفيف يصبح على اتصال مباشر مع الطبيعة .

٧- إن اختلاط الكفيف مع المبصرين يعطى الكفيف فرص تكوين ونمو فضائل اجتماعية وأخلاقية التى لا يمكن للأسرة نفسها أن تقدمها له ، ويصبح واجب الكفيف قبل كل شىء بالاختلاط مع المبصرين أن يتكيف ويخضع للآخرين كما يتعلم سلوك وتصرفات الزمالة والصداقة . وينطوى تحت هذه الصفات : الاستقلال بالتنفس ، ضبط النفس ، المعرفة الذاتية ... إلخ .

٥ ـ اللمـــس :

تعتبر اليد بالنسبة للكفيف عضو مستقبل ومصدر فى الوقت نفسه ؛ لذا فإن تدريب اليد على اللمس والفحص واكتساب الخبرة من مصادرها مباشرة له أهمية فى قيامها بوظيفتها كإحدى الحواس الرئيسية التى يعتمد عليها الإنسان الكفيف فى الاتصال بالعالم الخارجى وفى حياته بصفة عامة . وفى الأيدى اللامسة تجتمع أدوات البحث والمعرفة والعمل ، ولذلك تؤثر الأيدى فى الحياة الثقافية والاجتماعية والاقتصادية للكفيف تأثيرا جوهريا .. وهكذا يلعب هذا العضو فى حياة الكفيف دورا فى غاية الأهمية ؛ لأن مهارة اليد تصبح غالبا أساس النجاح الذى يطمح أن يصل إليه الكفيف فى حياته المستقبلة .. فإن مصدر حياته مرتبط بصلاحيتها فى ممارسة وظائفها السابق الإشارة إليها ؛ إذ إنها فى الوقت نفسه تعوضه عن فقد نور عينيه فى نطاق مجالات الوظائف التى تقوم بها. بالإضافة إلى ذلك، يمكن للكفيف أن يتذوق عن طريقها الإحساس بالجمال، وبذلك تعتبر وسيطا لعالم الجمال الخارجى .

وأحد الخلافات الجوهرية بين الحياة العقلية للكفيف والحياة العقلية للمبصر تتلخص فى العبارة التالية :

إن المبصر يرسم ولكن الكفيف يشكل أفكاره الحيوية من الأشياء الحقيقية .. لذا فمن المهم للأسرة أن ترعى النمو الطبيعى لحركة اليد وتتدرج بها إلى التدريب على اللمس والفحص بنجاح . ففى الشهور الأولى من السنة الأولى يتميز نمو حركة الأيدى بالقدرة فى القبض على الأشياء واكتساب السيطرة عليها ، كما يمتاز فى الشهور الأخيرة من هذه السنة بقدرة الفحص البسيط العام للشىء بقصد التعرف عليه ، وهو يفعل ذلك بمنتهى الاهتمام بحيث إذا أخذت منه المخرط فى البكاء ، كما يبدأ الطفل فى استعمال أصابعه بدلا من يديه كلها كوسيلة بحث واستقصاء للأشياء التى يقبض عليها ، ويلاحظ انه يضع إصبعه فى فجوة الأشياء المجوفة .

وبعد ذلك ، تأخذ حاسة اللمس توقى فى نهاية مرحلة الطفولة المبكرة حتى تصل إلى نهاية نموها فى بداية الطفولة المتأخرة ، فتصبح القدرة على اللمس دقيقة وواضحة التمييز . وفى مرحلة الطفولة المتأخرة تنمو الحاسة العضلية للأيدى والأصابع . ودقة الحاسة العضلية عامل مهم من عوامل المهارة اليدوية . وهذه الدقة تنمو وتطرد فى هذه المرحلة على وجه الخصوص . وهذه المهارة وسيلة مهمة لإدراك واكتساب جزء كبير من الخبرة من الأشياء المحيطة به ، ويصاحب هذا النمو ظهور ميل الطفل إلى الفك والتركيب للأشياء المحيطة به . ويتوقف هذا الميل إلى حد كبير على القدرة العضلية الدقيقة لليد والأصابع ، ومثل هذا النشاط فى تركيب الأشياء وفكها يصحبه انفعال معين فهو يشعر بأنه صانع ومبتكر . وهذا الميل يمكن إشباعه باللعب وأدواته ، وفى هذا تدريب لليد على الفحص واللمس واكتساب المزيد من الخبرة والمعرفة .

من هذا يتضح أهمية التدريب المبكر فى تدريب اليد على اكتساب الخبرة ، والنجاح المنشود فى مجال اللمس لا يحققه الطفل الكفيف دون مساعدة خارجية . وهذا النجاح ضرورى ؛ لأن خلال الإلمام بالشىء يمكن الطفل أن يكتشف حاسته اللمسية التى تتحول إلى تفكير ثم إلى إرادة .

وحتى يمكن أن تنجح الأسرة فى تدريب اليد ؛ لتقوم بوظيفتها السابق الإشارة إليها بالنسبة للكفيف ، يجب أن تراعى ما يلى :

١- إعطاء الشىء فى أول الأمر فى أيدى الطفل .

٢- تقريب يد الطفل إلى الشىء الموضوع أمامه والمراد تناوله .

٣- تجعل الطفل يبحث ويلم بالشىء سواء أكان له صوت أم لا .

٤- عند تقديم الشىء للطفل ، يجب أن يقترن ذلك بشرح موجز ومبسط فالطفل الكفيف لا تثيره الأسماء فقط بل يثيره أيضا شكل الشىء وأهميته وصفاته ،

فيتعلم أن للأشياء أشكالا وأحجاما مختلفة وصفات لمس متباينة .. وهكذا . وبذلك يمكن للطفل الكفيف أن يتكلم عن الأشياء المعروفة له كما يتكلم عنها الطفل المبصر الذى رآها بعينه .

٥- يمكن للأسرة أن تدرب حاسة اللمس عن طريق الأسئلة ، مثال ذلك :

ماذا تحس عند لمس كرة من البلاستيك أو كرة من الكاوتشوك .. وهكذا . فعن طريق مواد لمس مختلفة النوع يثير الإنسان انتباه الطفل وإدراكه فيلمس الشيء بانتباه ويقارن بعضها مع البعض ويعرف خصائص كل ما تلمسه يديه . وبذلك تزداد تربية قدرة الطفل على اللمس إلى التعلم عن طريق اللمس ، وبالتالى ترتفع مقدرة اللمس عند الكفيف ، وبزيادة مقدرة اللمس ، تزداد إمكانة التربية العقلية للطفل الكفيف .

بالإضافة إلى المبادئ الأساسية فى تدريب اليد ، تراعى التوجيهات التالية :

(أ) أن يشمل تدريب اليد ممارسة أعمال الفحص والقبض والحمل والتفريغ والحفر والملء ، والتمزيق والتركيب والفك ، والتصنيف والربط والفتح ، والتقطيع والتجميع .

(ب) خلق فرحة وبهجة ومتعة أثناء التدريب ، ويمكن أن يتم ذلك أثناء اللعب بأدواته .

(جـ) فى تدريب اليد تدريب لحواس أخرى وقدراته العقلية ، فهو عمل كامل الحواس.

(د) يمكن أن يتسع مجال تدريب اليد ؛ ليشمل خلع وارتداء الملابس - الأكل - الغسيل - نظافة الأسنان .. إلى غير ذلك من فنيات الحياة اليومية ، والتى تتطلب المهارة اليدوية والتوافق العضلى لحركة اليد والأصابع ودقة اللمس والتمييز .

(هـ) أن يتميز التدريب بالصبر والأناة والتوجيه الهادف ، مع التكرار حتى درجة الإجادة .

(و) أن يتم التدريب عن طريق إشارة الدافع تلقائيا له ، وألا يعاز إليه فيشار الطفل بكيانه وحواسه للعمل واكتساب الخبرة .

(ز) التدرج فى الفحص واللمس من البسيط إلى الصعب .

(ح) أن يشمل التدريب تشكيلة من مجموعات متنوعة اللمس ، مثال ذلك :

مجموعة الأخشاب - مجموعة الأقمشة - مجموعة البذور والحبوب - مجموعة العملات - مجموعة الأوراق - مجموعة الصلصال والشمع - مجموعة الزجاج - مجموعة المعادن والأوزان - مجموعة المساحات - مجموعة المكعبات - مجموعات من أدوات اللعب المصنوعة من مواد مختلفة اللمس والخاصة من صفيح وكرتون وبلاستيك وكاوتشوك ؛ خاصة تلك التى تدخل فى نطاق روضة الأطفال والتدرج بها ؛ أى الأشياء المتناولة فى حياتنا وحياة الطفل .

٦ ـ الأذن :

مع حاسة اللمس ترتبط حاسة السمع مكملة لها وتحول روحانيا إلى حد ما الشخصية الحقيقية لملاحظاته اللمسية .. وبينما يشعر الكفيف عن طريق اليد الملامسة بالشىء المحدود.. فإنه يسمع عن طريق الأذن عالم الصدى غير المحدود ، فيربطه بالبعد ويوقظ فيه الإدراك باللا محدود . بالإضافة إلى ذلك ، تعطى الأذن للكفيف معلومات ووصفا لما يحدث فى البيئة المحيطة به ، وبهذا تقدم الأذن للكفيف تعريفا للمكان الذى يوجد فيه ، وأثبتت التجارب أن الكفيف يستقبل ٧٥٪ من انطباعاته الحسية عن طريق الأذن ، وتعتبر الأذن أهم حاسة فى حياته اليومية ، فعن طريقها يستكشف ما يحيط به ويرشد نفسه داخل وخارج المنزل .. فتأثير صدى خطواته يخبره بالمبانى القريبة منه وإذا كان فى شك من أمره فيصفق بيديه أو يعمل ضجة أو ما شابه ذلك ؛ لأجل أن يعرف عن طريق صدى الصوت ، ما يريد أن يعرفه عما إذا كانت توجد مبانى حوله

وأين تقع وهكذا ، وفى حالة استخدام العصا البيضاء ، يمكن أن يعرف الكفيف طريقه خلال صدى صوتها ، وفضلا عن ذلك .. تساعد الأذن فى معرفة المسافة والاتجاه ، وكل ما تستطيع أن يوجده أنه يمكن أن تجذب انتباه الطفل الكفيف إلى الانطباعات أو المؤثرات الحسية التى يستقبلها .. ونعلمه أن يستفيد من هذه الانطباعات ؛ للحصول على مزيد من المعلومات للعالم المحيط به .

وتبدأ حاسة السمع فى النمو خلال الأسابيع الأولى لولادته ، فهو يستجيب للأصوات العالية المفاجئة بانتفاضة جسمه ، كما أنه يقابل الأصوات الناعمة الهادئة بغلق جفنيه ، ولعل ذلك السبب الذى يساعد أغلب الأمهات على الغناء لأطفالهم لتنويمهم ، ويستمر النمو السمعى حتى يصل إلى درجة النضج فى السابعة ، مع تقدم ملموس فى القدرة على تمييز كثير من المؤثرات الصوتية ومن بينها الأنغام الموسيقية الرئيسية .

وتدريب أذن الطفل على ممارسة وظيفتها بكفاءة يوجب على أفراد الأسرة بعامة ، والأم بخاصة ، إثارة انتباه الطفل الكفيف إلى التمييز بين التأثيرات الصوتية المختلفة التى تصل إليه سواء عند اللعب أو النزهة أو فى الشارع ، وهكذا يتيقظ لديه الشعور بالأمان والطمأنينة وبالتالى الشعور بالتكيف . وهذا يوضح أهمية تدريب الأذن على الإدراك والإلمام بالأصوات المختلفة وأنواع الصدى وبعده واتجاهه ، وفى هذا المجال يمكن أن تراعى الأسرة التوجيهات التالية :

١- توجيه اهتمامه إلى تمييز المؤثرات السمعية التى تحدث فى الشارع ، مثل : أصوات السيارات بأنواعها - أصوات الأتوبيسات المختلفة - أصوات الترام - أصوات العجلات - صوت عربة الإسعاف والمطافئ وبوليس النجدة - أصوات الأشجار وأوراقها ، وبالتالى الاستعانة بالقدرة على تمييز الأصوات فى السير فى الشارع ،

أو اختراقه من رصيف إلى الرصيف المقابل ، فى حالة عدم وجود حركة مرور السيارات آتية من بعد .

٢- فى المنزل يمكن تدريب الطفل على صوت الجرس أو المنبه أو معرفة الأشياء ، التى تقع على الأرض ليعرف كيف يعيدها مرة أخرى ، أو معرفة ماذا سقط أو تتبعه فى حالة دحرجته او اصطدامه بالحائط ، أو بشىء آخر يعترض طريقه .

٣- تدريبه على معرفة أصوات الظواهر الطبيعية مثل الرياح والعاصفة والمطر والرعد، وكذلك معرفة أصوات الطائرات وأنواعها إذا أمكن ذلك .

٤- يساعد على التدريب السمعى أيضا إتاحة الفرص للطفل لسماع البرامج الإذاعية للأطفال أو تسجيلات صوتية للأصوات المعتادة فى بيئة الطفل من طيور أو حيوانات أو الآلات الموسيقية أو ظواهر طبيعية .. إلخ .

٥- يمكن للأسرة أن تدرب سمع الطفل عن طريق الأسئلة فمثلا : لمن هذه الأصوات ، وعلى أى شىء قرعت .. وهكذا ، وبذلك يمكن تدريب السمع على التفرقة بين التأثيرات الصوتية المختلفة .

ويحسن أن يبكر بهذا التدريب ؛ حتى ينمو الطفل الكفيف قادرا على استخدام سمعه بطريقة سليمة فى التعرف على العالم المحيط به .

وقبل كل شىء ينبغى على أفراد الأسرة أن يدركوا هذا المعنى جيدا بالنسبة لتربية الحواس الباقية عند الإنسان الكفيف : أن الإمساك بالشىء يكون صورة صامتة للحقيقة ، ويعنى هذا أن تربط الأسرة تأثيرات الصوت مع التأثيرات الحسية الأخرى وبخاصة حاسة اللمس .

٧ ـ الشـم :

بالحركة واللعب واللمس والسمع لا يكتمل تدريب الحواس ؛ ، فالطفل الكفيف يجب أيضا أن يتعلم استعمال حاستى الشم والتذوق لما تلعباه من دور بالغ الأهمية فى حياته ، فالشم كالسمع يمكن الكفيف من إدراك الملاحظات من بعيد ، فهو يساعده على معرفة تفاصيل البيئة ويسهل له الارتياد والكشف عن الشارع ؛ إذ يمكنه معرفة المخبز- الصيدلية - البقال - محل البن - محلات الأكل - محال الزهور - الحديقة - محل مسح الأحذية- محل الحلويات ، ومعرفة هذه الأماكن تعتبر أدلة توجيه وإرشاد فى تحركاته وانتقالاته والوصول إلى مقصده ، ويمكن أن ندرب حاسة الشم عن طريق المشروبات وأنواع الخضروات والفواكه ، فيعرف أن يميز كل منها عن طريق الرائحة دون أن ندعه يلمسها ، ويدخل فى هذا المجال أنواع الصابون . وفى الواقع أن المكفوفين يستخدمون حاستهم الشمية فى مجالات متعددة بطريقة تدهش الآخرين .

٨ ـ التـذوق :

التذوق كاللمس من حيث اكتساب الخبرة بالاحتكاك بمصدرها ، والتذوق يرتبط بالشم بطريقة وثيقة ؛ فالتذوق أى الحاسة الكيميائية - تنمو مع الطفل منذ أسابيعه الأولى - ويستطيع أن يميز بين الطعوم المختلفة ويصبح حساسا لها وخاصة للحلو والملحى من الأطعمة ، واستجاباته لهذين الطعمين يعبر عنهما بتعبيرات وجهه ومعرفة تنفسه . ويدخل فى مجال تدريب حاسة التذوق أصناف المأكولات والمشروبات والأطعمة والفواكه والحلويات ... وبذلك يتعلم الكفيف ما هو حلو المذاق ، ما هو مر المذاق وما هو ملحى ، وما يعجبه وما لا يعجبه من أصناف المأكولات والمشروبات والفواكه .

«متحركا ولاعبا ولامسا وسامعا وشاما ومتذوقا يعاصر الكفيف عالمه المحيط به».

٩ ـ اللغــة :

إن فقدان البصر لا يعنى قضاء وقدرا نقصا عقليا وأخلاقيا ، فالكفيف يمكن أن يعتبر شخصا كامل العقل والخلق ، ولكن فقدان البصر يمكن أن يعوق النمو العقلى عندنا لا نأخذ فى الاعتبار عند تربيته اجتماعيا ظروفه التى يشكلها العمى ونتائجه .

وعن طريق التربية الاجتماعية المناسبة لظروف الإنسان الكفيف ، يمكن تجنب ما يعوق النمو العقلى والتربية الأخلاقية ، والتكرار ميلا لتعميق الشعور بالحياة ولاستقلال قدراته العقلية . فكيف إذا تبدو أهمية اللغة عند الكفيف للحكم على الحياة العقلية والفكرية ، هذه الأهمية تنحصر فى العبارة الآتية : تكلم حتى أراك .

وهكذا فاللغة بالنسبة للإنسان الكفيف تعتبر عامل إثارة مهما وحاملا للثقافة وسياسة للتفكير والتعبير، وعن طريق اللغة يتولد الشعور بالأمن والطمأنينة النفسية، وهى وسيلة للمعرفة والتعارف والطريق إلى تكوين العواطف والروابط الاجتماعية وعلاقات الصداقة والمحبة ، ووسيلة لاتصال الكفيف ببيئته فيعبر عن أفكاره ورغباته وميوله ووسيلة أيضا لفهم البيئة الخارجية واتصال مع المجتمع الخارجى . وهناك فرق بين اللغة والكلام ؛ فاللغة يقصد بها جميع وسائل الاتصال التى يرمز بها الإنسان للتعبير عن أفكاره ومشاعره مثل لغة الكلام – لغة الحديث ، كما أنها أداة اتصال بين الطفل وحياته اليومية .

وثم حقيقة مهمة أن الإنسان مزود بعوامل وراثية للكلام أن يكون الاستعداد للكلام فطريا، بينما تكون طريقة هذا الكلام أى اللغة التى يصب فيها الكلام مكتسبة – ويتطور الكلام من الصيحات الانفعالية الأولى التى يحدثها الإنسان فى المواقف الانفعالية المختلفة (حزن – سرور – ضيق) . وقدرة الطفل على الصياح فطرية بدليل بكاء الطفل عند الولادة ، أى إنه ورث القدرة على استعمال جهازه الصوتى ، وهذا

يفسر بكاءه فى الأسابيع الأولى دون سبب إلا لتمرين أحباله الصوتية ، وفى الأشهر الأربعة أو الخمسة الأولى ، تكون الصيحات للتعبير عن عدم راحة جسمية أو لعدم إشباع حاجة من حاجياته الأساسية ، وأحيانا يخرج الطفل أصواتا هادئة عندما يكون ملقى على ظهره فى راحة واطمئنان . ويتعلم الطفل الكفيف الكلام عن طريق إخراج أصوات من عنده تقارب تلك الكلمات التى يسمعها من المحيطين به .

ويسير نمو الكلام من العام إلى الخاص ؛ أى من الكل غير المميز إلى الكليات المميزة على النحو التالى :

١- ففى الشهر الأول : ينتبه إلى الأصوات وتصدر منه صيحات متميزة لشعوره بحاجة ما أو عدم راحة .

٢- الشهر الثانى : يشعر بصوت المتكلم ، ويعبر بوجهه عن مواقف اجتماعية معينة (البكاء - الفرح) .

٣- الشهر الثالث : يبتسم فى مواقف اجتماعية معينة مثل سماع صوت والديه ، فيصدر أصوات معبرة .

٤- الشهر الرابع : يضحك بصوت مسموع ، ويناغى نفسه فى حركات تلقائية .

٥- الشهر الخامس : يدير رأسه إذا سمع صوت إنسان ، ويصدر منه صوت محدد للدلالة على الرغبة أو الشوق .

٦- الشهر السادس : ينطق بعض المقاطع الكلامية المحددة ، ويعبر عن معرفته بالأصوات المسموعة .

٧- الشهر التاسع : يقول كلمة بابا وماما .

٨- نهاية السنة الأولى : ينطق بعدد من الكلمات لا يزيد عن ٦ كلمات ، كما يستجيب للأوامر اللفظية البسيطة .

ويمكن أن نرى المراحل التالية فى دورة نمو الكلام بعد السنة الأولى :

(أ) مرحلة الكلمة الواحدة : من بداية السنة الثانية وتستمر مدة ٦ أشهر تقريبا مقطع واحد أو أكثر .

(ب) مرحلة الكلمتين : من منتصف السنة الثانية تقريبا وتستمر حتى الربع الأول من السنة الثالثة تقريبا .

(جـ) مرحلة الجملة القصيرة : وتستمر من نهاية المرحلة السابقة حتى السنة الرابعة .

(د) مرحلة الجملة الكاملة : تبدأ من السنة الرابعة ، وتتميز هذه الجمل بالدقة فى أداء المعنى والصدق والأمانة فى التعبير .

والكلمات لا تعنى شيئا عند الكفيف إلا إذا ارتبطت بالحقيقة بخبرة حسية عنده لذلك يلزم مراعاة الاستعمال الصحيح للكلمات ، الذى يعتبر جزءا مهما من التربية فى هذه السن .. فلا قيمة للغة لا يمارسها الطفل فى حياته اليومية ؛ لذلك كان نموها عموما نتيجة ارتباط هذا المحصول اللغوى بالممارسة ، التى يباشرها الطفل الكفيف فى حياته اليومية . وهذا يعنى أن مفردات الطفل تنتقل من المفردات الدالة على موضوعات حسية محددة إلى ألفاظ ذات معنى أكثر تجريدا .

وإجادة الطفل الكفيف للغة تزيل كثيرا من المعوقات الناتجة عن فقد البصر ، والتى توجد لدى الكفيف عند تكوين عالمه الروحى وعند التعبير عن أفكاره . ورغبة الطفل الكفيف للكلام والتقليد تؤثر فى سرعة تعلمه للغة ، وهكذا يتعلم اللغة عموما بالسرعة نفسها التى يتعلم بعها الطفل العادى . ويأتى الخطر فى تعلم الطفل الكفيف اللغة ، عندما توجد المعوقات التى قد تنحصر فى عدم رعاية نمو الكلام وإهمال التدريب المنزلى على تعلم اللغة ، وهنا تظهر أهمية التدريب المبكر على تعلم اللغة .

وفى هذا المجال يجب على الأسرة مراعاة ما يلى :

١- الكلمة والشىء يجب أن يقترنا سويا ، وهذا يعنى أن اللغة مع العرض يكونان متلازمين .

٢- التكلم أمام الطفل بأسماء الأشياء بصوت مسموع وبطريقة سليمة وواضحة ، وفى جمل كاملة المعنى بقدر الإمكان .

٣- عدم الشرح بتعميمات ، ولكن كل شىء يدلل عليه مع الشرح والتفسير الكافى .

٤- فرصة خالصة يتمتع بها الطفل الكفيف ، عندما يحكى له أسطورة أو حكايات شعبية قصيرة ، أو عندما ينصت إلى قراءة من كتاب الأطفال فهذا يغذى عنده الثروة اللغوية .

٥- إتاحة الفرص للطفل لسماع البرامج الثقافية والترفيهية للأطفال .

١٠ ـ التفكير :

يسير التفكير عند الطفل الكفيف عموما ، جنبا إلى جنب ، مع نمو اللغة فلا توجد لغة كاملة دون تفكير ، وبالتالى لا يوجد تفكير دون لغة . فاللغة والتفكير يرتبطان بعلاقة وثيقة وعن طريق الوصف اللغوى الواضح يحتفظ الكفيف بأفكاره وينظمها فى جمل ذات معنى ، وتفكير الطفل الكفيف موضوعى وسهل التشكيل ، وهو يسمى الأشياء بأسماء ويعرف علاماتها وصفاتها المختلفة والمتشابهة ، وتفكيره الموضوعى يتشكل تبعا للانطباعات الحسية اليومية المختلفة (من لمس وسمع وشم وتذوق) ويستعين بها على تفكيره ؛ إذ يصعب عليه فى مرحلة الطفولة أن يفكر تفكيرا لفظيا مجردا .

ويتميز تفكير الطفل فى السنوات الأولى من حياته بالاهتمام بمشاعره وتخيلاته أى يكون تخيليا وليس منطقيا حتى يبلغ السادسة تقريبا ، وهذا السبب فى إقبال

الأطفال على القصص الخيالية بصورة واضحة فى هذه الفترة ، ويرجع ذلك إلى عدم اكتساب الطفل المحصول اللغوى الكافى ، الذى يجعله يفكر تفكيرا معنويا منصبا على الأمور المجردة ، وفى هذه الفترة ينبغى عدم المبالغة فى إعطائه القصص الخيالية ، بل يفضل أن تشتق موضوعات القصص من العالم الخارجى ؛ حتى تساعد الطفل على أن يعبر الهوة بين عالمه الخيالى والعالم الخارجى الواقعى .

وفى سن السابعة تقريبا يأخذ تفكير الطفل الكفيف الصبغة الواقعية ، ويتطلب الأمر أن تتميز الحقائق العلمية التى تقدم له بالقلة والبساطة ؛ حيث لا يمكنه التركيز على موضوع معين مدة طويلة ، ويتميز النمو فى الوظائف العقلية بالاتجاه نحو ما هو عملى ويدوى ، وليس إلى ما هو لفظى وشفوى .

وبصفة عامة يمر تفكير الطفل بمراحل ثلاث :

١- مرحلة العد : من سن ٣ إلى سن ٤ تقريبا .

٢- مرحلة الوصف : من سن ٧ إلى سن ٨ تقريبا .

٣- مرحلة التفسير : من سن ١٢ إلى سن ١٣ تقريبا .

وتتوقف قدرة الطفل على التفكير على إدراك العلاقات المكانية والزمانية والكمية أو علاقات التشابه والتباين وما إلى ذلك ، لذلك يجب على أفراد الأسرة أن يسهلوا للطفل الكفيف أن يوجد العلاقة بين الأشياء فيدربوه على مقارنة الأشياء وصفاتها مع بعضها البعض ، وبهذا .. يمكن للطفل الكفيف إدراك العلاقات ومعرفة الحقائق . ويسير نمو القدرات العقلية للتفكير من إدراك العلاقات البسيطة إلى المركبة ، وترتبط بنمو الطفل نفسه .

ويراعى أن تكون المشكلات التى توضع أمام الطفل عملية بقدر الإمكان وأن تكمن العلاقات المطلوبة منه إدراكها أو استنتاجها بسيطة تتفق وطبيعة النمو العقلى فى هذه المرحلة . وهكذا ينمو التفكير السليم عند الكفيف منذ طفولته وبالتالى فى

المراحل الأخرى من حياته . وربط التفكير غير الملموس باللغة لا يضر بنشاط التفكير العام عند الكفيف ؛ فالمبصر يرى كثيرا ويفكر قليلا بينما الكفيف يرى قليلا ويفكر كثيرا .

١٢ ـ الخيـــال :

إن تصورات قوة التخيل تلعب عند الطفل الكفيف- وفى حياته بصفة خاصة- دورا مهما فللخيال سهم رئيسى فى تكوينه العقلى وفى استكمال الملاحظات والإدراكات الحسية غير الكاملة والمحدودة ؛ خاصة أثناء العملية التعليمية عند فحص النماذج والعينات ولمسة الخرائط والوسائل البارزة الأخرى ، وعند سماعه للسرد اللفظى عن موضوعات العالم الخارجى ، خيال الطفل الكفيف يتضح أكثر ما يتضح أثناء اللعب .

ويكون خيال الكفيف فى أنه يغرق فى الأحلام غير الحقيقية والعديمة الجدوى ، وعندما تنجح الأذن فى أن يكون لها مركز مسيطر على حياته العقلية ؛ إذ يحرم من قاعدة أساسية للمعرفة فينمو بدرجة ملحوظة مظهر الكسل والبلادة وتسيطر على تفكيره أشكال وصور الوهم والخيال السلبى ، وأشار بعض التربويين المكفوفين إلى النتائج المترتبة على ذلك ، فيقول سيمون هلر :

إن ما لا يفهمه الطفل الكفيف سواء أكان مذنبا عن ذلك أم غير مذنب ، يصبح بمساعدة الخيال صورا مضللة ، قد تتفق قليلا مع الحقيقة ولا تتفق معها غالبا .

وهكذا يتولد الخطر فيصبح عالم الكفيف لا يوافق عالم المبصرين ، وبذلك تنمو المصاعب لدى الكفيف فى طريق تكيفه الاجتماعى والنفسى مع الآخرين ، ومرة أخرى يعالج سيمون هلر هذه الحقيقة ، فيقول :

عندما يسيطر الخيال على الحياة العقلية للكفيف .. فإنه يبعد عن الشئون الحقيقية للحياة ، وهذا يؤدى به فى النهاية إلى الاضطرابات النفسية والفشل .

إن الخيال يمكن أن يصبح قوة خطرة بالنسبة للكفيف ، عندما يكون له سيطرة على حياته النفسية ، وعندما يكون غير موجه وغير مقيد بالحقيقة ، وعن طريق فهم خاطئ لها .

ولأجل تجنب انحرافات الخيال ، من الأفضل أن يراعى ما يلى :

١- أن يلم الكفيف بالإدراكات الحقيقية لما يتعرض له من عناصر تربيته وصلاتها والتدخل ، بالنسبة لأنواع التحصيل الفعلى عن طريق المعرفة الذاتية .

٢- إثارة الخيال المبتكر ويساعد على تحقيق هذا بصفة رئيسية تدريب اليد والأذن وبقية الحواس الأخرى .

٣- تزويده بالخبرات العملية وتهيئة فرص التمتع بمباهج الحياة وإرضاء عواطفه وإشباع حاجاته النفسية .

٤- إن الخيال الخلاق للطفل الكفيف يرقى بصفة خاصة أثناء اللعب مع زملائه المبصرين من عمره الزمنى نفسه. وهذا يعنى المشاركة الإيجابية مع مجموعة من الأصدقاء ليأخذ الكفيف بصورة مباشرة نصيبه من الحديث والمناقشة ، وهذا يشكل رابطة حيوية بين الكفيف من جهة ، والمبصرين من جهة أخرى .

٥- أن يبقى الكفيف بصفة دائمة على اتصال بالحقيقة وكل الحقيقة ، سواء فيما يتصل بحياته أو بإعاقته أو بذاته أو بمستقبله .

التربية الأخلاقية :

لكل إنسان فى حياته قانون خاص هو مبادئه الأخلاقية ، التى يقيس بها أفعاله وأفعال غيره . وهذا القانون يتحكم فى سلوكنا وفى تقديرنا لسلوك الغير ، وهذه المبادئ تتكون إلى حد كبير فى مرحلة الطفولة وتلعب البيئة الاجتماعية دورا مهما فى تكوينها ويكتسب الفرد شخصيته الأخلاقية عن طريق الامتصاص والتقمص ، فهو

يمتص كل ما فى بيئته الخارجية من عادات وتقاليد ومثل عليا وعقيدة ، بالإضافة إلى كل ما يعبر عنه وسطه العائلى من قيم ومعايير أخلاقية ومثل عليا .

وكلما كانت هذه القيم الأخلاقية والاجتماعية تتفق مع قيم الحياة الواقعية ، ساعد ذلك على أن يسلك الفرد السلوك الاجتماعى الصحيح والحياة الاجتماعية الهادئة . وطبيعة التكوين الاجتماعى داخل الأسرة هى التى تتحكم فى أساليب تكيف الطفل فى رجولته مع الوحدات الاجتماعية الكبيرة المختلفة الاتجاهات . وفى تشكيل أسلوب حياته المستقبلة ، وتبعا لهذا القياس لتقدير تشكيل أساليب الحياة الاجتماعية لإنسان الكفيف تتميز الصفة الأخلاقية للكفيف . ويجب أن تركز الأسرة فى مجال التربية الأخلاقية لطفلها الكفيف على المبادئ الرئيسية التالية :

١- يجب أن يقترن ما يستقبله الطفل الكفيف من بيئته بنغمة شعور وإحساس ، فهذا يضع أساسا للخبرة الذوقية فى تقديره للقيم والعادات الأخلاقية ؛ فالنعمة الدارجة الودية لأفراد الأسرة والسلوك الطيب للأقارب والأصدقاء يؤثر فى عواطف ومشاعر الكفيف وفى تكوين شخصيته ، ومن ناحية أخرى لا يعنى دفء صوت الأم وحنانها وحب الأسرة للطفل الكفيف الشعور بالأمن والطمأنينة فحسب ، بل أيضا درجة أعلى من القبول الرضى وتقدير الحياة الاجتماعية الصحيحة والاتجاه الثابت من الأم نحو ابنها ، يساعد على احترامه لها وعلى اكتساب عديد من العادات الأخلاقية والسلوكية السليمة .

٢- أن تهتم بمبدأ التوعية الأخلاقية ، فالحياة العائلية تعطى الكفيف الفرص ليفهم ما هو جميل وما هو مكروه ، وما هو حق وما هو غير حق ، وما هو صالح وما هو غير ذلك .. وهكذا ، وأن يقترن هذا الفهم بالممارسة لهذه المواقف الاجتماعية مع التوجيه والإرشاد . ويجب أن تتصف أحكام أفراد الأسرة بالثبات والاستقرار وعدم الانفعال ، وهذا يساعد الطفل الكفيف على استخلاص الأحكام

الأخلاقية فيطبقها على نفسه وفى علاقاته مع الآخرين وفى تقديره لتصرفاتهم . وبذلك تنشأ أول مبادئ الضمير الخلقى والقيم الخلقية ، وفى هذا السبيل يجب تهيئة الفرص والمواقف ، التى تسمح للطفل الكفيف أن يقدم مشاعر ومواقف حية لكل فضيلة (الحقيقة لهذه الفضيلة) بدلا من الخطب الأخلاقية التى تؤدى إلى مجرد رضى واستعمال الأفواه دون نتيجة إيجابية تذكر . وهكذا لا يقلل العمى من قيمة المشاعر والإحساسات عند الإنسان الكفيف ، فهو يمكن أن يكون إنسانا كامل التفكير والخلق كأى مواطن مبصر .

٣- أن تعلم الأسرة طفلها الكفيف مبكرا القدرة الاستعفاء - أى التنازل أو التسليم أو النبذ - وخصوصا التمييز بين القيم الحقيقية للحياة عن قيوده الخاطئة والشعور بالسعادة فى داخل نفسه ، والاستعفاء يصبح حجرا أساسيا لسعادته الحقيقة الغير مفقودة ، فهذا يعطيه فقوة أدبية وأخلاقية لتشكيل حياة نفسية مستقرة ، هذا يؤدى بالتالى إلى وجود أفضل له مع الإعاقة .

٤- من المعروف أن العمى يساعد على العزلة الاجتماعية النسبية ، وعندما تؤدى العزلة إلى مودة وعلاقات مع أفراد معينين وعندما تؤثر على النمو الأخلاقى للكفيف فى طفولته ؛ فإنهما أى العزلة تحدد القيم الخلقية عند الكفيف ، ومثل هذا النمو يحول دون اكتمال التربية الأخلاقية عند الكفيف . لهذا السبب فمن الضرورى أن تعنى الأسرة بالتوجيه المستمر لتربية الطفل الكفيف أخلاقيا واستكمال اكتسابه لعادات وتقاليد وقيم مجتمعه الذى يندمج فيه مستقبلا .

٥- أن حجر الزاوية الذى تعتمد عليه التربية الأخلاقية والفهم الصحيح للأشياء والعلاقات الاجتماعية هو الاندماج السليم للكفيف فى عالم المبصرين ، وخلال هذا الاندماج تنمو الفضائل الاجتماعية عند الكفيف ، وهذا يضع على عاتق

الأسرة واجبات أساسية لتحقيق هذا المبدأ التربوى الضرورى . وهذا الاندماج والاتصال بالعالم الخارجى لا يساعد على اكتمال التربية الأخلاقية فحسب ، بل أيضا على الاتزان الانفعالى والاستقرار العاطفى .

٦- يجب على الأسرة أيضا أن تحمى طفلها الكفيف من العادات السيئة والتصرفات غير المألوفة، مثل: حركة الانحناء إلى الأمام أو إلى الخلف - كثرة الحركة واللعب مع الأيدى والأصابع - حركة دوران ولف الرأس .. وضع أصابعه فى أنفه أو عينيه .. إلخ .

وتراعى الأسرة تجنب هذه العادات والتصرفات فى الوقت المناسب .. بالإضافة إلى ذلك يجب أن تراعى الأسرة أن يحتفظ طفلها بجسمه منتصبا عند جلوسه ومشبه ، ويمكن للأسرة أن تجنب طفلها أمثال هذه العادات أثناء التدريب على الحركة والمشى وتدريب اليد ، وتدعم مدرسة روضة الأطفال والمدرسة هذه الاتجاهات عن طريق تمارين الحركة والألعاب الرياضية .

الإعداد لمطالب المجتمع :

إن جهود الأسرة فى مجال التربية الاجتماعية لطفلها الكفيف يجب أن تمتد ؛ فتشمل تأهيل الطفل الكفيف للحياة فى المجتمع وإعداده لمطالب هذا المجتمع ؛ فالمجتمع يطلب من كل إنسان أن يتكيف تبعا لقواعده ونظمه العامة وعرفه وتقاليده ، لذا فإنه من الأهمية تهذيب شخصية الطفل الكفيف وتربيته تربية اجتماعية تتناسب مع مطالب المجتمع الذى ينضج فيه .

وترجع أهمية هذا الإعداد إلى أن الكفيف عندما يعرف المجتمع بصورته الحقيقية وعلاقاته وأشكاله ، وعندما يسعى المرء ليوضح للكفيف الصعوبات والأخطاء التى يقابلها فى مجتمعه، يمكن أن يصبح الطريق إلى الاندماج السليم والتكيف الاجتماعى مع المجتمع سهلا أمام الكفيف .. وعلى العكس من ذلك عندما يصطدم الكفيف بعقبة

ما أو تواجهه مشكلة ما لا يستطيع التغلب عليها أو إزالتها من طريقه ، يخشى أن ينتج عند ذلك صورة خاطئة عن المجتمع الخارجى فى نفسية الكفيف ؛ الأمر الذى ربما يؤدى إلى وضع بذور أو جذور لأمراض نفسية واجتماعية بصفة عامة أو لمواقف سلوكية غير سليمة مع المبصرين بصفة خاصة .

وتربية الطفل الكفيف لمطالب المجتمع يستلزم من الأسرة الاهتمام بصفة جوهرية بالاتجاهات التالية :

١- أن نضع الكفيف فى مجتمع المبصرين بصفة دائمة ، وخلال هذا يكتسب سلوك وعادات وقواعد المجتمع وآدابه كما يكتسب المفاهيم الأساسية له والمعانى المجردة للحق والواجب والتعاون ، والمسئولية والمشاركة مع الغير ، والنمو العقلى يسر له القدرة على إدراك هذه المفاهيم الرئيسية التى تساعد على التكيف الاجتماعى فى المجتمع الكبير .

ويتطلب الأمر أن نقدم هذه المفاهيم لا فى أسلوب لفظى تجريدى بل فى أسلوب عملى تطبيقى ، واتصال الكفيف مع العالم الخارجى يساعد على اتساع وتشعب دائرة الاحتكاك الاجتماعى الخارجى للكفيف وعن هذا الطريق يتعلم طرق معاملة الآخرين ووسيلة الحصول على الرضى الاجتماعى منهم ، وهذا يؤدى بالتالى إلى تكوين علاقات اجتماعية سليمة .

ومن هذا الطريق يتعلم أيضا سلوك الأخذ والعطاء بين أقرانه وتكوين الصداقات واحترام رغبات الغير وبالتالى تنمية شخصيته الاجتماعية . وخلال هذا الاندماج فى المجتمع الخارجى تنمو اتجاهات الكفيف إزاء الجماعات والنظم الاجتماعية وتقوى ميوله للمشاركة فى الحياة الاجتماعية والأنشطة المختلفة ، وهذا يؤدى إلى اكتساب اتجاهات سليمة إزاء المؤسسات والنظم الاجتماعية ، المختلفة فى المجتمع .

٢- يجب على الكفيف ، قبل كل شىء ، أن يعرف حدود ذاته وقدراته وإمكاناته ؛ حتى يمكن أن يتجنب أى انحراف لطموح غير منتقد ، فالنقد يكون غالبا قاسيا

وغير مهذب ؛ الأمر الذى يمكن أن يؤدى بطريقة ما إلى تأثيرات نفسية غير مرغوبة . وتساعد الأسرة الكفيف على معرفة الحدود التى يضعها كف البصر فى سبيل تحقيق رغباته ومطالبه لأن الطريق إلى الحرية الأدبية يؤدى إلى بوابة الحقيقة، ولذا يجب ألا يترك الوالدان بصفة خاصة طفلهما الكفيف ، دون أن يحدثاه عن عاهته بطريقة صريحة وواضحة ، وعدم تحقيق هذا التوجيه قد يؤدى إلى المغالاة أو الإقلال من قيمة الإعاقة من جانب الكفيف ..

وفى حالة المغالاة فى تقدير العاهة ونتائجها يمكن أن يؤدى مثلا إلى الشعور بالضعة والضيق بحياته والشك فى قدراته والإقلال من ذاته وشخصه ، وفى حالة الإقلال من قيمة العاهة يمكن أن يؤدى مثلا إلى المغالاة من قيمة قدراته وإنتاجه أكثر من قدرات ولإنتاج زملائه المبصرين والإقلال من نتائجها ، وهذا التقدير غير الصحيح للعاهة يسبب للكفيف بعض الاضطرابات الاجتماعية والنفسية ، التى يعتبر الوالدان مسئولين عنها إلى حد كبير .

٣- أن تسعى الأسرة بكل جهد ممكن إلى تحقيق استقلال شخصية ابنها الكفيف ، فتحقيق الاستقلال شرط أولى لتكيف أساسى للكفيف فى المجتمع الكبير ، وهذا يتطلب مما يتطلب درجة عالية من ثبات الشخصية وتدريب الحواس الباقية وإكسابه المهارات الأساسية للحركة والانتقال ، وتزويده بالخبرات الضرورية عن نفسه وذاته ومجتمعه . ويمكن تحقيق ذلك بقيام كل من الأسرة والمدرسة بدورها فى هذا المجال .

وعلى هذا الأساس، يجب على أفراد الأسرة أن يوجهوا الكفيف إلى الاستقلال بنفسه وخدمة نفسه بنفسه فهم يعلمونه كيف يساعد نفسه بنفسه ، ولا يعتمد دائما على المساعدة الخارجية وعلى الشعور بالسعادة الداخلية الحقيقية عندما ينجز أمرا بنفسه وتقدير كل ما هو حسن وذى قيمة أخلاقية ، وهذا يخلق عنده فرحة وبهجة ذات طابع خاص .

ويدخل فى هذا المجال كيف يرجو المساعدة من الغير ، فعندنا لا يتلقى الكفيف أى مساعدة من المبصرين عندما يكون فى حاجة إليها ، وعندما لا يكون قد أعد لأن يطلب المساعدة من الآخرين فحينئذ تكون حالته النفسية فى خطر ، وهذا يستلزم من الأسرة أن تعلمه كيف يرجو المساعدة الخارجية ، عندما لا يستطيع المرء من تلقاء نفسه أن يساعده أو يرشده فى الطريق العام .، وبصفة عامة .. فإن الاستقلال الذاتى عند الكفيف عبارة عن موازنة أو توفيق بين مطالب البيئة ، واستخدام أو استغلال القدرات الذاتية الباقية .

وجملة القول أن تكيف الكفيف عملية هامة تؤثر بصفة جوهرية على نمو شخصيته الاجتماعية ، فإذا كان الكفيف متكيفا مع نفسه ومع بيئته .. فإنه يستطيع بذلك أن ينسى خبراته ويستقبل بشخصيته ، وإذا لم يصل الكفيف إلى حالة التكيف هذه ، فإن هذا سيعوقه من الاعتماد على نفسه والاستفادة من التدريب والتربية الاجتماعية ؛ فالكفيف الذى لا يرضى عن نفسه وعن حالته ووضعه ويشعر بالضيق عند مقابلته أى فرد مبصر ينزوى منهم ؛ لأنه يرى أنهم أعداء له لعدم تقديرهم المناسب لشخصه ، ومن ثم يكون شعوره عدائيا ، وهو فى ذلك يكون غير متكيف مع نفسه ومع المجتمع .

والخلاصة أن قدرات الكفيف يجب ألا تقيد من جانب الأسرة أو المجتمع ، بل على العكس يجب أن تنمو وتتطور ، ويساعدوه على تحقيق هذا . وهكذا يتمكن الكفيف من أن يشعر بإرادته وبقدراته ومواهبه ، وهذا يؤدى بالتالى إلى نمو وتطور قدراته العقلية والاجتماعية . والنتيجة تكون الذات واستقلالها وبهذا نوفر للكفيف الأساس لتكيف اجتماعى نام ، فيجد فيه الكفيف أقصى ما يتمناه فى حياته والجزاء الجميل لقيمة التنمية الاجتماعية للأسرة .

النضج الخلقى وشعاب الطريق

قد يكون من نافلة القول أن الجانب الخلقى يعد من أهم الجوانب النمائية فى الشخصية الإنسانية لما يحتويه من قيم ومثل ، تسهم فى بناء الشخصية ونموها المتكامل ، وأن اهتزاز الجانب الخلقى يعد مسئولا إلى حد كبير لما نعانيه من مشكلات وما نستشعره من اضطرابات تنعكس على السلوك ، ولعل ما نراه من جوانب سالبة تتمثل فى بعض مظاهر الإهمال والفساد وانحرافات بعض الشباب ، تعد من أهم مظاهر انحدار الجانب الخلقى لدى الفرد وعرضنا أهمية دور الأسرة فى التنشئة الاجتماعية ، وخاصة دور الأسرة فى تأهيل وتجهيز الكفيف للحياة ، وفق معايير معينة بوصفها الحضن الاجتماعى الأول الذى يتربى فيه الكفيف .

الكفيف والنضج الخلقى Moral Maturity :

يعنى الوصول بالفرد إلى درجة عالية من التكامل فى التنظيم سلوكا على درجة عالية من السواء النفسى والأخلاقى ، وهناك من يرى أن النضج الخلقى هو درجة عالية من الدرجات تصل بالفرد إلى السمو فى مجال من المجالات ، ويلعب الضمير دورا مهما فى درجة التزام الفرد بواجباته الأخلاقية تجاه جماعته ، وقد حدد النمو الخلقى على أساس وصول الفرد إلى درجة عالية من تأسيس مفاهيم الحكم والاختباء والتفكير والتعقل الأخلاقى ، المبنى على مبادئ العدالة والالتزام بالواجبات الأخلاقية ، تجاه المجتمع الذى نعيش بين جوانبه .

النضج الخلقى والعملية التعليمية :

تسعى الدراسية الراهنة إلى تحديد ضرورة النضج الخلقى للكفيف بوصفه يعيش فى المجتمع ويحتاج إلى التفاعل معه والانخراط سلوكيا واجتماعيا ونفسيا بين جوانبه ،

ولما كانت الدراسة الحالية تحاول أن تلقى بعض الضوء على ضرورة الاهتمام بالمناخ الدراسى سعيا إلى ترسيخ جوانب النضج الخلقى لدى الكفيف داخل إطار المدرسة ، وسعيا إلى تحقيق هذا الهدف ، نحاول من خلال وضع برنامج إرشادى للعملية التعليمية من جوانبها المتعددة على الوجه التالى :

أولا : آداب تعبر عن النضج الخلقى لمعلم الكفيف :

تحتوى هذه الآداب مجموعة من التصرفات لمعلم الكفيف بوصفه عنصرا مهما فى أمر تربية وتأهيل الكفيف (فى إطار المدرسة)، ونتناول هذا الجانب من خلال مجموعة من الآداب تخص معلم الكفيف، وتعبر عن النضج الخلقى للمعلم على الوجه التالى :

(أ) آداب المعلم فى نفسه :

انطلاقا من المنزلة الرفيعة للعلم والعلماء ، فإن آداب رجل العلم الذى سوف يتناول العمل مع الكفيف فى جميع مراحله الدراسية على الوجه التالى :

- ❖ دوام مراقبته الله تعالى فى السر والعلن والمحافظة على خوفه فى جميع حركاته وسكناته وأقواله وأفعاله ، فإن المعلم أمين على ما أودع من العلوم ، وما منح من الحواس والمفاهيم والآراء .
- ❖ أن يصون العلم ويتفانى فى خدمة الكفيف ، وأن يقدم له الخدمات التعليمية ، التى من شأنها أن ترقى به إلى أعلى المستويات .
- ❖ أن ينزه علمه من جعله سلما يتوصل به إلى الأغراض الدنيوية من جاه أو مال أو سمعة أو شهرة أو خدمة ، لأنه يعمل فى حقل المكفوفين ذلك الذى يتطلب الجهد والتضحية .
- ❖ أن ينزه نفسه عن دنئ المكاسب ورذيلها طبعا ، وعن مكروهها عادة وشرعا ، وكذلك يتجنب مواضع التهم وإن بعدت ، ولا يفعل شيئا يعبر عن نقص مروءة أو يكون مستهجنا .

❖ أن يعامل التلاميذ والطلاب بمكارم الأخلاق من طلاقة الوجه وإلقاء السلام وكظم الغيظ وكف الأذى واحتماله منهم والإيثار والإنصاف وشكر التفضل والتلطف بهم والرفق فى المعاملة .

(ب) آداب معلم الكفيف فى درسه :

هناك بعض الآداب الخاصة بعمل المعلم وقيامه بعملية التدريس ، تعبر عن النضج الخلقى ، مؤداها :

❖ أن يجهز نفسه إذا عزم على مجلس التدريس ، بأن يهتم بنفسه وبملابسه بحيث يكون مظهره مشرفا .

❖ أن يتجنب الانفعالات الغليظة .

❖ أن يحاول أن يعرض الدرس من السهل إلى الصعب ، وأن يتفانى فى الشرح .

❖ أن يتأكد من فهم تلاميذه من خلال إلقاء الأسئلة ، وتوزيعها بعدالة .

❖ أن يصل الخبرات بعضها ببعض ولا يقيد بالنص المقرر ، بل عليه أن ينوع لخبرات ويطرح الكثير من الأمثلة .

❖ أن يراعى التشويق وإثارة المستمع ، ولا يرفع صوته زائدا على قدر الحاجة ولا يخفضه خفضا لا يحصل معه كمال الفائدة .

❖ أن يكون المعلم منصفا فى معاملاته ويسمع لكل تلاميذه ، دون مجاملة أو تحيز .

❖ أن يختتم الدرس وأن يقف عند فكرة ، تمكنه من استئناف درسه فى المرة القادمة بطريقة مشوقة ، تمكن المستمع من الاستزادة أكثر والاستمتاع بما يسمعه لأنه يشعر بحاجته إليه .

(جـ) آداب معلم الكفيف مع تلاميذه وطلابه :

❖ أن يقصد المعلم بتعليم طلابه وتهذيبهم وجه الله تعالى ، وإحياء العلم ونشره ودوام ظهور الحق ، وأن يرغبهم فى العلم والإقبال عليه .

❖ أن يحب المعلم لطالبه (وتلميذه) ما يحبه لنفسه ويكره له ما يكره لنفسه ، وينبغى أن يعتنى بمصالح الطالب ، ويعامله بما يعامل به أعز أولاده من العفو والشفقة عليه والإحسان إليه والصبر على جفاء فى المعاملة أو نقص ، أو سوء أدب وعليه أن يبسط عذره بحسب الإمكان .

❖ عليه بتوجيه طلابه وتلاميذه ويرشدهم نفسيا إلى ما قد يصدر منه من سلوكيات غير سليم بلطف ، بعيدا عن القسوة ، قاصدا بذلك حسن تربيته وتحسين خلقه وإصلاح شأنه .

❖ أن يراعى الاستعدادات والقدرات المختلفة لدى الطلاب (والتلاميذ) بحيث لا يقدم له معلومات أكبر من قدراتهم أو تفوق تهيؤهم واستعداداتهم .

❖ أن يحرص على تعليمه وتفهمه ببذل جهده وتقريب المعنى له ، من غير إكثار لا يحتمله ذهنه .

❖ متابعة الفروق الفردية والعمل على تزويدها بحيث يرتفع بالأقل قدرة وينمى أصحاب القدرات العالية .

❖ ألا يظهر للطلبة تفضيل بعضهم على بعض ، وكذلك عليه احترام مشاعرهم .

❖ على المعلم أن يراقب أحوال الطلبة فى آدابهم وهديهم وأخلاقهم باطنا وظاهرا وكذلك يدعم أواصر المحبة والمودة بينهم ، وأن يسعى لتحقيق مصالحهم وجمع قلوبهم .

❖ أن يتابع حضور وغياب الطلاب ، حتى إذا غاب أحد طلابه غيابا زائدا ، سأل عنه ، وإذا كان مريضا قام بزيارته .

ثانيا : آداب تعبر عن النضج الخلقى للطالب الكفيف :

وهناك بعض الآداب التى ينبغى أن يراعيها (الطالب الكفيف وهو يتعامل فى المناخ المدرسى) .. هذه الآداب تتعلق بمجموعة من السلوكيات على الوجه التالى :

(أ) آداب الطالب (الكفيف) مع نفسه :

- ❖ أن يقنع الطالب الكفيف بما هو عليه وبمعيشته ، وأن يشعر بالرضا .
- ❖ أن يقسم وقته تقسيما عادلا بحيث لا يحرم نفسه من الترويح ، وأجود الأوقات للمذاكرة ، وأن ينظم وقته مراعيا وقت الترويح ووقت المذاكرة .
- ❖ أن ينظم أكله بحيث يتجنب كثرة الأكل ؛ لأنها تؤدى إلى البلادة وقصور الذهن وفتور الحواس وكسل الجسم .
- ❖ أن يحرص على رياضة البدن أو المشى وأن يريح نفسه وقلبه وذهنه وقلبه ، وأن يحاول دائما استعادة نشاطه وحيويته .

(ب) آداب الطالب (الكفيف) مع المعلم :

- ❖ أن يطيع معلمه ولا يخرج عن رأيه وتدبيره ، بل يكون معه كالمريض مع الطبيب الماهر ، فيشاوره فيما يقصده ويتجرى رضاه فيما يعتمده ، وليعلم الطالب أن طاعته لمعلمه فخر وتواضعه له رفعة .
- ❖ أن ينظر إلى المعلم بعين الإجلال ويعتقد فيه درجة الكمال .
- ❖ أن يعرف له حقه ولا ينسى فضله وأن يصبر على جفوته .
- ❖ أن يستأذن قبل أن يدخل على المعلم ، وأن يحرص على أن يكون كامل الهيئة .
- ❖ أن يجلس مع المعلم جلسة الأدب بتواضع وخضوع وسكون ، ويصغى إلى المعلم بعمق وانتباه ، ولا يتلفت من غير ضرورة ولا يعبث بما فى أنفه ولا يفتح فاه ولا يشبك يديه أو يعبث بأزراره وإذا تثاءب ستر فمه .

(جـ) آداب الطالب الكفيف فى درسه :

هناك بعض الآداب السلوكية للطالب الكفيف تعبر عن النضج الخلقى ، نوجزها فيما يلى :

- ❖ أن يبتدئ بكتاب الله العزيز فيتقنه حفظا ويجتهد على إتقان تفسيره وسائر علومه ؛ فإنه أصل العلوم وأمها وأهمها .
- ❖ أن يصحح ما يقرؤه قبل حفظه تصحيحا متصفا ، إما بالاسترشاد بالأستاذ أو بسؤال الزملاء ، وعليه أن يجهز نفسه بالأدوات الدراسية ، التى تساعده على أن يسجل أفكاره وما يسمعه من معلومات .
- ❖ أن يبتعد عن الغرور والنظر إلى نفسه بعين الكمال الذى يجعله فى حالة استغناء عن المعلم .. فإن ذلك يعنى الجهل وقلة المعرفة .
- ❖ أن يتأدب مع الزملاء ويعاملهم بالحسنى ، وألا يستحى من سؤال ما قد أشكل عليه ، وألا يستحى من قوله « لم أفهم » إذا سأله أستاذه لأن ذلك يفوت عليه شرح الأستاذ وإضافة المعلومات إليه .
- ❖ أن يساعد الزملاء ويرغبهم فى التحصيل ، ويدلهم على الكتب والمراجع ، التى تساعدهم ويصرف عنهم الهموم التى تشغلهم ويهون عليهم .

تلك هى الآداب الأخلاقية المعبرة عن النضج الخلقى فى العملية التعليمية ، إلى جانب ضرورة أن ننبه الطلاب والتلاميذ بعدم العبث بأدوات المدرسة وتحطيمها وأهمية الحرص عليها ، وضرورة إحساس الطلاب بالانتماء إلى مدرستهم ، إلى جانب ضرورة الاهتمام بآداب الدخول والخروج من المدارس ، وكذلك أيضا آداب النزول والصعود والأدب فى المشى داخل المؤسسة التعليمية ، وتجنب العادات القبيحة كالضحك الفاحش أو الصعود إلى سطح المدرسة ، من غير حاجة أو ضرورة وأخيرا الاهتمام بالملبس والحث على النظافة والحشمة ، والتحفظ والحرص على سمعة المنشأة .